كتاب تذكاري

في حضرة العارف

عمـاد قطـري

(قصيدةٌ لن يجف مدادها)

إعـداد: **محمد جاد المولى**

كتاب تذكاري

في حضرة العارف

عماد قطري
(قصيدةٌ لن يجف مدادها)

الإشراف العام
الشاعر والإعلامي.. **أشرف عزمي**

التحرير، والإخراج الفني
الأستاذ الشاعر.. **السعيد المصري**

شعلة الإبداع للطباعة والنشر

الطبعة الأولى
2025

• **رقم الإيداع:** 2025/21447
• **الترقيم الدولي:** I.S.B.N: 978-977-8863-46-8

• الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الدار، بل تعبر عن رأى المؤلف في المقام الأول.
• حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة، للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا، أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف.

كتاب تذكاري

____

«في حضرة العارف»

____

«عمـــاد علـي قطـــري»

____

قصيدةٌ لن يجف مدادها

____

رسالة

«إلى كل أدباء مصرَ والوطن العربي، سيظل مركز «عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية» مستمرًا في تقديم خدماته للأدباء، ولن يتوقف عطاؤه؛ ليظل اسم «عماد قطري» رمزًا للعطاء الثقافي والإنساني، وليظل صانعًا للفرح في كل وقتٍ ومكان»

المحـــتوى

- رسالـة.. 5
- المحتوي... 7
- مقـدمـة.. 9
- سيرة ومسيرة.. 11
- قطــوف من الحرف الإنساني «لصـانع الفـرح»............... 15

شهـادات أدبيـة.. 17

- رسائل الحضور والغياب... د. سحر محمود عيسى........... 19
- في مـديح المحبـة مَـن لنـا بمثلـك يـا عـماد؟... محمـود رمضـان الطهطاوي... 27
- بين صناعة الفرح وعفوية الحزن ... محمد جاد المولى......... 29
- في محبة صانع الفرح... أشرف البولاقي........................ 33
- عماد قطري.. ظاهرة لن تتكرر... عبد الناصر أبو بكر........ 41
- عماد قطري روح مثمرة بالمحبة... محمد عبد الحميد توفيق.... 45
- عماد على قطري... عمـرو الشيخ.............................. 49
- متى يتم تكريم «عمـاد قطري؟»... حسني الإتـلاتي.......... 51
- قطري بين الرحيل الموجع وبقاء الأثر... سيد يوسـف........ 55
- «عماد قطري» وخفّة الملائكة.. سعيـد شحاتة.................. 57
- «عماد قطري» الدينامو ... رضـا الأشرم........................ 65
- «عماد قطري» الفارس النبيل ... أشرف بدير.................. 71

دراسات نقدية 73
- الاتجاه الوجداني في شعر «عماد علي قطري» موضوعاته وقضـاياه الفنية... د. عمرو جابر عبد العظيم..... 75
- الأَيْدِيُولُوجِيَا انْسِجَامُ الخِطَابِ السَّرْدِيِّ التَّأَمُّلِيّ قصـيدة (الغـواة) للشاعر الراحل : «عماد قطري»... عمرو العنتبلي..... 83
- الشاعر الكبير عماد قطري الإنسان وصانع البهجة والمعجون بـماء المحبة... د. سليمان جادو شعيب..... 91
- شذرات من البساتين القطرية... إيمان بشناق..... 97
- قراءة في ديوان (العصافير) للشاعر عماد علي قطري... حاتم عبـد الهادي السيد..... 103
- شاعر التغريبة السيناوية «عماد قطري». عبدالله السلايمة.. 113

نصوص شعرية 117
- قلبك ما بقاش مستحمل... السعيد المصري..... 119
- ذِكْرَاكَ.. نَبْضُ صَحْرَائِي... أشرف عزمى..... 131
- التغريبة الأخيرة، إيمـان بشـناق..... 135
- حبكيات... محمود الحبكي..... 137
- حَبيبٌ لا يَغيب... عبد العظيم الأحول..... 139
- وجيـعة الضـاد... محمد عبد الرحمن حجازي..... 141
- صانع الفرح... محمد خميس خالد..... 145
- صانـع الأحـلام... فـرج الضـوي..... 147
- أمطار كانون... رشا عادل بدر..... 151
- مولانا... حسن مأمون..... 153

مقـدمـــة

في البدء كان الحرف، وكان العارف الذي لا يتكئ على المجاز بقدر مـا يسـكنه، ولا يتباهى بالكلمة بقدر ما يهبها عمره. كان «**عماد قطري**» صديقًا للقصيدة بقدر ما كان أخًا للقصّاد، لا تمر به الحياة عابرًا ولا مارًا مِن بابٍ إلى باب، بـل نـازلًا في قلوبنا، مقيمًا على عتبات محابرنا، حاضرًا كلما نادته الكلمة أو ناديناه.

لم يكن شاعرًا وحسب، بل كان رجلًا من رجال النـور، مـن أولئـك الـذين إذا مرّوا في حياتك تركوا أثرًا لا يُمحى، ودفئًا لا يُنسـى. كـان صـوته في الأمسـيات عطرًا، ويده في الطباعة كفًّا من سـخاء، وقلبـه في العلاقـات صِـدقًا لا تعرفـه إلا القلوب الصافية.

لقد طبع أكثر من كتاب، لكنه طبع قبل ذلك وأبعد من ذلـك في ضـمائرنا، وفي وعي الحركة الثقافية في مصـر والعـالم العـربي. مـن خـلال «**مركـز عـماد قطـري للإبـداع والتنميـة الثقافيـة**»، صـار البيـت بيتًـا للجميـع، وصـار الحـرف خبـزًا للمحتاج، وأملًا للشاعر الشاب، وجسرًا بين الذين كادوا ييأسون وبـين النشـر، فكان هو الجسر، وكان هو الرفيق.

نحن – أصدقاءه الذين لم نكف عن محادثته حتى وهو في الغياب – نكتب هـذه الكلمات كمنْ يقرأ على مقام، أو يضع شمعةً على شاهِد ضوء. نعرف أنه لم يرحل إلا جسدًا، وأن روحه لا تزال تُقيم بين سطورنا، تراجع معنا القصائد، وتبتسم في آخر النص، كما كانت تفعل دومًا.

هذا الكتاب، ليس رثاءً ولا بكاء، بل احتفاء... احتفاء بمن منح الحرفَ مكانه، والقصيدةَ روحها، وبالإنسان الـذي جعـل مِـن حياتـه مـرآةً للكـرم، والمبـادرة، والتجرد في خدمة الآخرين. كتابٌ عنه، نعم، لكنه أيضًا كتابٌ لنـا، نحـن الـذين

تعلّمنا من سيرته أن الثقافة لا تحتاج إلى ضوء فوق المنصات، بقدر ما تحتاج إلى دفءٍ في القلوب في حضرة العارف... نطأ الأرض بخشوع، ونتصفح الصفحاتِ كأننا نمسك أطراف عباءته، ونهمس:

«أيها العارف... مدادك لن يجف، وسيرتك لن تُنسى، وحروفك التي وزّعتها على كل قلب، تعود إليك الآن لتكتبك من جديد».

سيرة ومسيرة

«١٩٦٥م ــ ٢٠٢٥م»

- «**عماد علي قطري**».
- «**١٩٦٥م ــ ٢٠٢٥م**».
- شاعر، وكاتب مسرحي.
- مِن مـوالـيد شبراويـش/ أجـا/ دقهلية/ مصر.
- الأمين العام المؤسس لمركز «عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية».
- مؤسس ورئيس تحرير سلسة «الفوارس الثقافية».
- المستشار الثقافي لرابطة «الأدباء العرب» بالقاهرة.
- رئيس تحرير مجلة «النورس».
- عضو اتحاد كتّاب مصر.
- عضو رابطة «الأدب الإسلامي العالمية».
- عضو رابطة «النورس للأدباء العرب».
- عضو نادى الأدب بقصر ثقافة أجـا، وقصر ثقافة العريش.

«صـــدر لـــه»:

- «**عذرًا سراييفو**»، ديوان شعر، دار الوفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.
- «**يا نيل**»، ديوان شعر، دار الوفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- «**المحاكمة**»، مسرحية شعرية، دار الوفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- «**ما بيننا**»، ديوان شعر، عن سلسلة أصوات معاصرة، ٢٠٠٣م.
- «**العصافير**»، ديوان شعر، عن سلسلة الفوارس، ٢٠٠٧م.
- «**عشر نساء يجئن خلف العاصفة**»، ديـوان شـعر، عـن مركـز المحروسـة، ٢٠٠٩م.

- «**وجع المنافي**»، مسرحية شعرية، عن مركز المحروسة، ٢٠٠٩م.
- «**بعض ما قالت العارية**»، ديوان شعر، الجزء الأول من التغريبة السيناوية، عن مركز المحروسة، ٢٠١٠م.
- «**تلك الدار**»، ديوان شعر، الجزء الثاني من التغريبة السيناوية، عن مركز المحروسة، ٢٠١٠م.
- «**ترانيم عشق**»، ديوان شعر، عن مركز المحروسة للنشر، ٢٠١٠م.
- «**لعينيك أشدو**»، ديوان شعر، عن مركز المحروسة للنشر، ٢٠١١م.
- «**ثورة التحرير**»، ديوان شعر، أول ديوان عن ثورة ٢٥ يناير، عن دار وعد للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
- «**أغنيات لسيدة المواسم والأبجدية**»، ديوان شعر، عن مركز المحروسة للنشر، ٢٠١١م.
- «**أحبك**»، ديوان شعر، عن دار وعد للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
- «**وقائع من دوحة العشق**»، ديوان شعر، عن مركز المحروسة للنشر، ٢٠١٢م.
- «**دماء على فجر ليلى**»، ديوان شعر، عن مركز المحروسة للنشر، ٢٠١٢م.
- «**لها**»، ديوان شعر، عن مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية، ٢٠١٣م.
- «**حزنًا يبوح البنفسج**»، ديوان شعر، عن دار هيباتيا للنشر، ٢٠١٤م.
- «**مدن البعاد**»، ديوان شعر، الجزء الثالث من التغريبة السيناوية، عن دار النابغة للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م.

«له قيد النشر»

- «**سفر في حضرتها**»، مجموعة شعرية.
- «**وقائع بيع مصر**»، مسرحية شعرية.
- «**بعض ما قال**»، مجموعة شعرية.

- «**فأووا إلى الكهف**»، مسرحية شعرية.
- «**كلمات سبارتاكوس الأخيرة**»، مجموعة شعرية.
- «**حلّت بقلبي فاتحدت بنبضها**»، مجموعة شعرية.
- «**الديابة**»، أشعار بالعامية المصرية، مجموعة شعرية.

تناول أشعارَه بالنقد والتحليل عددٌ كبير مِن النقاد، في مقدمتهم:

«د.حسين علي محمد، د.نادر عبدالخالق، د.وليد قصاب، د.خليل أبو ذياب، د.يسري العزب، د.عصام الدين أبو زلال، د.صلاح الدين فاروق، د.صابر عبد الدايم، أ.محمد ناجي المنشاوي، أ.حاتم عبد الهادي السيد، أ.صفاء البيلي، أ. محمد القدوسي، أ.مجدى نجم، أ.محمود رمضان الطهطاوي، أ.حسن غريب أحمد، أ.عاطف الجندي، أ.أحمد خير، أ. محمود حسانين، أ.السعيد المصري، د.عمرو جابر عبد العظيم، أ.عمرو العنتبلي، د.سليمان جادو شعيب، أ.إيمان بشناق».

نشِرت أعماله فى العديد من الجرائد المصرية والعربية، مثل:

«جريدة أخبار الأدب، جريدة الشعب، مجلة النورس، المجلة العربية، جريدة عكاظ، جريدة الجزيرة، جريدة الاقتصادية، جريدة الرياض، جريدة اليوم، مجلة الأدب الإسلامي، جريدة الرياض، اليوم السابع، المصري اليوم، جريدة الجمهورية، جريدة القبس».

وقد نُشّر عنه عدة أبحاث ودراسات تناولت شِعره ودواوينه، في عدد من المجلات والدوريات الثقافية المحكّمة.. منها:

- «**سطوة جغرافيا المكان شعريًا (ديوان مدن البعاد للشاعر عماد قطري نموذجًا)**»، د. مجدي الأحمدي، أستاذ الأدب والنقد المشارك، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية.

- «**تقنيات السينما في قصيدة (محاورة غير تاريخية لقصّاص أثر سيناوي، للشاعر عماد قطري) دراسة أسلوبية**»، د. سحر محمود محمد أحمد.
- «**اتساع الأفق واختناق النص (التشكيل البصري والأسلوبي في قصيدة "على باب خيمة أمّ معبد"، للشاعر عماد قطري دراسة تحليلية)**»، د. مجدي بن عيد بن علي الأحمدي، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك، السعودية.
- «**الاتجاه الوجداني في شعر « عماد علي قطري» موضوعاته وقضاياه الفنية...**»، د. عمرو جابر عبد العظيم، حصل بها الباحث على درجة الدكتوراه، من كلية الآداب – جامعة المنصورة – قسم اللغة العربية.
- «**الصورة الشعرية فى التغريبة السيناوية عند عماد على قطري**»، د. محمود عبد الرحيم عبد اللاه عبد الرحيم، حصل بها الباحث على درجة الدكتوراه، من كلية الآداب – جامعة المنصورة – قسم اللغة العربية.

قطـوف
من الحرف الإنساني
«لصـانع الفـــرح»

- **«لم أنشـغل بـالتكريم الرسـمي، فـالتكريم الحقيقـي جـاءني مـن الكتّـاب والمبدعين وبقيامي بدوري في رسم الفرح على وجوههم».**

(برنامج رياحين القلوب، قناة الحدث اليوم)

- **«نحن أبناء فلاحين كادحين بسطاء، يزرعون قيم الخير والجـمال في نفوسـنا كما يزرعون قمحهم ونخيلهم في قراريطَ معـدودة تكفـي بالكـاد مـا يسـد الرمق».**

(صفحته الفيسبوكية)

- **«نحن مؤسسة غير ربحية وليست لنا أجندات مع أحد، وهذه الخصوصـية تمنحنا الحريةَ في الاختيار».**

(من لقاء مع مبدعي الجنوب تقديم ا. أشرف البولاقي)

- **«فن المسرح فن صعب، لأنه يجمع بين فن الشعر وفن الدراما، وهذا يحتـاج إلى الإلمام التام بعلوم الشـعر وعروضـه ولغتـه. والـدراما تحتـاج إلى عمـقٍ تاريخي».**

(من حوار مع القناة الثقافية السعودية)

- **«تركت سيناء بعد سفري، لكني ما زلت مرتبطًا بها. تجربتي مع سيناء ممتدة طويلة لأكثر من ربع قرن».**

(من حوار مع الشاعر عبد الناصر أبو بكر في مقطع مصور من الحرم المكي)

- **«المحاكمة» مسرحيتي الشعرية ما تزال تحكي المأساة بعد عقدين من الزمان على صدورها، تظل نبوءاتنا صالحةً لإثارة الدهشة. صباح الخير يا غزة».**

(صفحته الفيسبوكية)

«عماد قطري»

شـهـــــادات أدبـيـــة

رسائل الحضور والغياب

«إلى عماد قطري»

د. سحر محمود عيسى

(١)

تَعاهدنا على كل شيء واتفقنا يا عماد، لكنني لم أعرف أنك سترحل فجأة، وستأخذ معك روحي وقلبي...

لم يفهموا ما بيننا يا عماد ولن!

ما كنت أدري أنني سأودّع العالم مِن بعدك.

وأن لا شيء في الحياة بعد الأحِبة يستحق الحياة...

أمارس مهنة التمثيل صباحًا، وأخبِرهم أنني ما زلت حية وبخير، فقط مِن أجل أمي التي بكت كثيرًا على سحر وعماد!

وفي المساء أخلع كل الأقنعة، وأركض إلى غرفتي كي أحضن أوراقك وأقلامك، ملابسك، عطورك.. أصافح كل الأشياء التي كانت بك تحيا، أقبّلها وأتأملها لعلها تخبرني بشيء يُذهب حَيرتي، لعلها تكذّب نبأ يدهشني حتى اللحظة!

أقف في النافذة وأرسل سلامًا إليك مع أول نسمة قادمة، وأوصيها بك خيرًا!

أستحضر لحظات الوداع، وأستعيد الرؤيا التي قصصتَها عليّ قبل رحيلك بأيام قائلاً بنبرة طفلٍ بريء: «**يا سحر شُفت في المنام، كأني واقف في بيت كله زرع أخضر وميّه وحاجة تشرح القلب.. لعله بشرى لتيسير أمرنا بعد استقرارنا في مصر...**».

وفي اليوم التالي نزور حالة إنسانية تأثرتَ بها كثيرًا، وكنتَ تفكر طوال الطريق في البحث عن حل لبناء منزلهم المهدد بالخطر، وإصرارك على شراء ما يحتاجونه لرمضان قبل سفرنا إلى القاهرة بساعات..

ونصل إلى القاهرة في ليلة هي الأخيرة، يا ألله ما أقسى هذه العبارة! وفي ساعةٍ متأخرة تخبرني بأنك ستصلّي قيام الليل وتقرأ القرآن في الغرفة، لا أدري لماذا كنت أطمئن عليك بين حينٍ وآخر، رغم أنك تمارس ما تفعله يوميًا، ربما لأن خلوتك طالت في هذه الليلة.

أعددتُ لك كوبًا من الشاي، وفتحتُ باب الغرفة فوجدتك ضارعًا مبتهلًا إلى الله، تدعوه بخشوعٍ وتبتّل، ترفع يديك إلى السماء، فأغلقتُ الباب بهدوء.

مِن الحادية عشرة مساءً حتى الواحدة صباحًا، وأنت في محراب العبادة، وكأنك تستعد للقاء الله، ووسط مناجاتك تطلب مني أن أقترب كي تقرأ لي الرقيةَ قبْل النوم!

وإذا بك تضع يديك على رأسي وتقرأ آيات وأدعية، ثم تشد على يدي وأنت تدعو لي بوجهٍ منير، والله يا عماد ما زلت أتذكر وجهك المضيء المبتسم لحظة دعائك قائلاً: ما شاء الله، رَبنا يحفظك.. وكأنك تراني لأول مرة.. وآخر مرة!

ثم تضع رأسك على وسادتك، وبعد ساعةٍ أسمعك تتألم!

أضع رأسك بين يدي، وجسدي يرتعش خوفًا وقلقًا، فتربّت على كتفي، وتشير بوهن أنك بخير!

لكن قلبي يأبى.. وبعد لحظات أنت بين أيدي الأطباء!

لا أتذكر شيئًا عن نفسي سوى أنني كنتُ في عالمٍ آخر تمامًا كما كنتَ أنت!

تمر الأيام ثقيلةً حزينة، تذبحني الدقائق والثواني.

تطعنني اللحظات وتسلب مني روحي ببطء!

أدخلوني إلى غرفة العناية المركّزة، كنت طفلة تائهة لا تقوى على الحركة، أستند على يد أخي، وأقاوم ضعفي فقط كي أراك.. كي أطمئن.. كي أتنفس!

نظرت إلى وجهك البريء طويلًا طويلا...

قبّلتُ قدميك ورأسك وحادثتك بكل ما في قلبي!

قالوا لي لن يسمعك، لكني كنت أعلم أنكَ تسمعني.

كنت أشعر والله يا عماد بما لا يشعرون به!

اقتربتُ منك وقلت لك «**أنا سحر يا بابا، مستنياك ترجع علشاني، انت دايما تقولي ربنا راضاني بيكِ، وانتِ النور اللي في حياتي، وانتِ بنتي وحبيبتي وزوجتي، وإن ربنا وحده الأعلم بحبي لك وبقدْرك.. وعدتني بأننا دايما مع بعض، وانت عمرك ما خلفت وعدك، منتظراك طيب أنا ماليش غيرك، أرجوك قوم علشاني**».

ناجيتُك طويلاً يا عماد، وهمستُ لك وأنا أرتجف، كنتُ أشعر ببردٍ قاسٍ يتسلل خلسة بين الحروف والكلمات..

كنت أحدّثك بنبضي لا بلساني! والله يا عماد كنت أناجيك بوجعٍ وألمٍ عنيد يعلم به الله وحده، ولا أحد سواه.. وهكذا في كل مرة أقول ما أقول وأقبّل قدميك.

وإذا بابتسامةٍ خافتة على وجهك، وكأنك تعتذر عن رجوعٍ لا تملكه، عن وعدٍ ستخلفه للمرة الأولى.. وعن عودةٍ قريبة لكن إلى مأوىً آخر، إلى جنةٍ عرْضها السموات والأرض!

أغادر المشفى وأنا أقول: يا رب أنت أكرم من أن تردّ عبدًا ضعيفًا وقف بين يديك.

يا رب هذا أبي وزوجي وروحي، اشفِه وعافِه يا مَن لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء...

يستقبلني الليل وأنا غائبة عن الحياة، وإذا بي أستيقظ فزِعة من نومي في الخامسة صباحًا، فأضع يدي على وجهي وكأنك أصدّ كرة لهبٍ تقترب مني رويدًا رويدًا، وإذا بصوت الهاتف: البقاء لله، المهندس عماد رحل الآن!

يا ألله!

عماد... ؟ عماد...!

سكن كل شيء في جسدي، لم أقوَ حتى على الصراخ.

شعرتُ بأن صمتًا يلف العالم أجمع..

أن نورًا قد خبا وولّى بعيدًا بعيدً..

كل شيء ساكن بلا حراك..

وجعي لا يوصف يا عماد!

فارقتني الحياة مِن بعدك!

لن يعرفوا ما بيننا يا كل الأحِبة ويا كل الرجال..

ما زلتُ أقف عند باب شقتنا لأسمعك تقول:

افتحي يا سحر أنا عماد!

كم أشتاق والله إلى هذه العبارة.. إلى صوتك، إلى أنفاسك التي تورق تفاصيل بيتِنا وحياتنا.. الآَن لا شيء.. لا شيء..

والله يا عماد أتأمل الموتَ وأتذكرك، وأدعو الله أن يجمعني بك في جنة الخلد..

أدعو الله أن تلتقي أرواحنا في الآخرة كما تلاقت في الدنيا.

أريد أن أحكي لكَ عن غربتي يا عماد، عن ألمٍ قاسٍ يحاصرني، عن الناس والبشر والحياة!

أريد أن أحكي لك عن كل شيء حدثَ بعد رحيلك..

أكتب إليك وأمامي ملابسك وأقلامك وأوراقك.

كل شيء يرثيك ويبكيك..

ويرثيني ويبكيني..

كل شيء في مكانه كما هو وكما كنتَ تحب، عدا سحر يا عماد، لم تعد في مكانها، خارت قواها، ووهنت أنفاسها، أسدِل الستار على قصتها معك بعد ١١ عامًا، كنتَ فيها أبًا وأخًا وصديقًا، وزوجًا نقيًا طيبًا.

كنتَ عمادًا وسندًا وظَهرًا، وملاكًا يمشي على الأرض.

في السابع من أكتوبر ٢٠١٤ يوم زواجنا ويوم ميلاد قصةٍ مختلفة لا أحد يعرف فصولها سوانا؛ لأنها كتِبت بمداد القلب ونبض الروح، وفي التاسع من فبراير ٢٠٢٥ جف القلم وسكنت حروفه، بعد أن سطر كلمة النهاية..

يقولون إنّ الأيام تُنسي وتفعل كذا وكذا، لم يعلموا أنك حَي تروح وتغدو أمامي كل لحظة، لم يعلموا أن ارتباطي بك يشبه ارتباط الأرض بجذورها الطيبة التي تعصى نزع ما يبقيها على قيد الحياة!

سنلتقي يا عماد.. سنلتقي وسأضع رأسي على كتفك وأبكي طويلاً طويلاً!

سأحدّثك عمّا تعرفه وعمّا لا تعرفه!

سلامًا أبي وزوجي وروحي التي لن تفارقني ما حييت..

في جنة الله ورضوانه وفردوسه الأعلى ومحبتِه وكنفِه!

إلى لقاء يا عماد..

(٢)

اختلف وجه الحياة بعد رحيلك يا عماد.

واختلفت وجوه الناس!

حتى هؤلاء الذين أعطيتَهم عمرًا وحياة، صنعوا مِن أناتك جسرًا للعبور نحو أحلامهم!

كنتَ ملاكًا يمشي على الأرض، تزرع الابتسامة في كل دربٍ وطريق.. صنعتَ المعروف في أهله وفي غير أهله..

ما أشبَهَ حياتك بالغريب الذي يطرق باب غرفته كل مساء، رغم أنه يعلم أن لا أحد سواه!

يستقبله ظله الآمن، فيفرح ويمد يده إليه ليصافحه بابتسامةٍ حائرة!

يعاتبونني على حزني عليك

ألمْ أقل لك لم يفهموا ما بيننا ولن!

ظنوا أنك رجلٌ عابر في حياة امرأة،

لم يعلموا بأنك النبض الذي عشتُ به عمرًا،

مرارة فقدِك أقسى ما واجهته في حياتي..

أنت معي كل لحظة.. حَي في قلبي، وفي كل ركن ومكان..

ما زلت مندهشة لسفرك ورحيلك المفاجئ!

ما زلت أرسل إليك على الواتساب!

لكنك لا تردّ!

لأول مرة تختفي رسالة: صباح الخير يا قلبي!

ما زلت أقف عند باب الشقة لأسمع جملة: افتحي يا سحر أنا عماد!

أتخيل أنك ستفتح الباب فجأة وتعتذر عن أنك تأخرت لأن المواصلات زحمة، وأنك وقفت طويلاً في انتظار سيارة من المنصورة إلى القاهرة!

وستفتح الأشياء التي اشتريتها لي بعد أن تخبرني بأنها مفاجأة

ستحدثني عن تفاصيل يومك وتطلب مني الغداء ثم تختفي ساعات، وبعدها تُسمِعني آخر قصيدةٍ كتبتَها،

ونتناقش ونختلف، ونتراهن مَن منا أدق في هذه العبارة.. ولِم قلتَ كذا، ثم نحتكم إلى المعجم أو كتب اللغة، لأكسب الرهان وتعطيني هذه الريالات وأنت فرِح بها كأنك أنت الفائز!

أعِدك بأنني لن أسرق أقلامك مرة أخرى، ولن أستخدم أوراقك البيضاء وأنت نائم...

لا.. بل أحتاج إلى فعل ذلك كي أسمعك تقول: يا بنتي هاتي أقلامي وبطّلي سرقة، طيّب هترجعيها بالذوق أو بالذوق برضوا!

فنضحك معًا، وأتفاوض معك على إرجاع الأقلام بشرط أن تكافئني، فتنظر إلى الجوّال قائلاً: الآن.. الخامسة صباحًا يلّا نخرج ولا يهمك

فأجري بسرعة وأرتّب ملابسي وأنتظرك، ونخرج وأنت ممسِك بيدي قائلاً:

«**أخاف تتوهي هنا ولا هنا بعمل بنصيحة أمّك**»...

أستعيد لحظات جلوسنا على الأرض ونحن نرتّب وجبات الإفطار لعمّال النظافة في مكة.. كم كنتَ جميلا ونقيًا وأنت تعاتبني قائلاً: لمْ تذكّريني بزجاجات المياه يا سحر!

وفي رمضان نرتّب معًا عُلب الطعام قبيل المغرب، كم كنت جميلاً ونقيًا وأنت تقول:

«**تعالي نلف في كذا مكان، وبعدها نروح مزدلفة علشان نوزع كتير**».

كل لحظة معك كانت عمرًا وحياة،

ألمْ أقل لك لم يفهموا ما بيننا ولن..

٢١ مارس يوم ميلادي يا عماد.. لأول مرة أستقبله بقلبٍ واهٍ جريح!

أتألم عندما أتذكر جملة: صنعت لك مفاجأة في يوم ميلادك وأجمل هدية! فأقول لك: أنتَ أجمل هدية..

لم أحتفل يا عماد لأول مرة في عمري..

أخذتَ معك الأشياء الحلوة، حتى يوم ميلادي الذي لم أعد بحاجةٍ لتذكّره!

أريد أن أطمئن عليك يا عماد، وأن أراك.

وأقول يا رب أنَّى لي ذلك!

أقول يا رب رحل إليك أبي وزوجي وصديقي، وحياتي التي كنت أتنفسها، يا رب اجعله في كنفِك ورعايتك ورضوانك ورحمتك.

يا رب اجمع شتات قلبي، اجمعني به في جنة الخلد..

سلامًا إلى روحك الطيبة الطاهرة.

سلامًا إلى أن نلتقي.

«سحر»

في مديح المحبة
مَن لنا بمثلك يا «عماد؟»

أ. محمود رمضان الطهطاوي

حتي كتابة هذه السطور التي أكتبها بأصابعَ مرتعشة علي لوحة مفاتيح الحاسوب، ورغم إيماني ويقيني بأن الموت حق سيدركنا جميعًا، ولكنه في كل الأحول مصيبة كما قال الحق.

والمصاب هنا عظيم، فالذي فارقَنا واختطفه الموت رغم أنه إنسان مثلنا يفعل ما نفعل، ولكن إنسانيته تخطت حدود البشر واقتربت من الروح الملائكية بصفاء نفسه، ومحاولته إسعاد كل مَن حوله على حساب نفسه.

منذ أن اقتربنا مِن بعضنا البعض في أوائل ٢٠١١م ومع بداية انطلاق أول مسابقة لمركز عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية الذي أعطاه كل وقته وماله، وشرّفني أن أكون الأمين العام المساعد، وضلعه الثاني، وأنا أري منه عجب العجاب بتلك الإنسانية المتشبعة بها روحه مِن بذلٍ وعطاء، وتسامحٍ وصبرٍ وجلَد علي المكاره. ولكل مفردة أحاديث تطول وتستحق أن نخلدها ونذكرها ليعرف القاصي والداني مَن هو هذا الرجل «صانع الفرح« في الوسط الثقافي، وفي مودته ومحبته لكل البشر.

عماد علي قطري، المهندس والشاعر والإنسان الذي عاش مجاورًا للكعبة الشريفة، وشاء القدر أن يختم حياته بعمرة لصديق ويطوف الكعبة مبتهلاً وداعيًا للذي رحل وفي عينيه دموع المحبة والصدق والإخلاص كعادته، فقدْ فعلها لمئات مِن البشر مِن قبل، مَن يعرفهم ومَن لا يعرفهم، يذهب ملبّيًا بمجرد أن يعلم بأن قريب صديقٍ له رحل عن عالمنا.

مَن لنا بمثلك يا عماد، يطبطب علي أرواحنا إذا حزَبنا أمر من أمور الدنيا، وما أكثر أوجاعنا؟!

مَن لنا بمثلك يا عماد، يفتح قلبه طاقة نور تضيء ظلمات العتمة في قلوبنا؟!

على المستوى الشخصي كنت مطمئنًا بأنك ستعدّني في قبري وأنت تؤدي عني العمرة، وتدعو لي بقلبك النقي وبروحك المتعلقة بهذه البقعة الطاهرة.

فمَن لي بمثلك يا عماد؟

مَن لي بمثلك؟

وللحديث وصلٌ لا ينقطع.

بين «صناعة الفرح»
وعفـويـة الحـــزن

أ. محـمد جـاد المـولى

الإنسان الذي لم يتخلَّ عن إنسانيته..

كل مَن عرف عماد قطري، يعرف كم كان وفيًّا، نقيًّا، بسيطًا في سلوكه، عظيمًا في أثره. لم يكن يدعم الناسَ ليراه أحد، بل كان يفعل ذلك لأن نفسه لا تعرف غير الكرم والعطاء.

لم يكن يفرق بين مبدع مشهور أو شابٍّ يكتب أولى محاولاته. كان يرى في كل روح إمكانية النور، ويشعل لها شمعةً لتواصل.

أقول هذا لا عن بعد، بل عن قرب، فقد عايشتُ إنسانيته عن كثب، وأذكر جيدًا قراره الكريم بطباعة ديواني "جارحة الطين" مباشرة، دون أن يُدخلني في المسابقة الأدبية التي كان يقيمها سنويًا. لم يشأ أن يخضِعني للانتظار، أو أن يجعلني في صفوف التنافس، بل آمن بالنص من قراءته الأولى، وقال كلمته الحاسمة: "هذا الديوان سيُطبع فورًا".

كان هذا الموقف وحده كفيلًا بأن يمنحني عمرًا من الامتنان، لكنه لم يكن الموقفَ الوحيد. فكم مِن مرة منح غيري دعمه المادي والمعنوي دون أن ينتظر مقابلًا، وكم من مرة كان سببًا في أن يرى شاعرٌ حلمه بين دفتَي كتاب، فقط لأن عماد آمن به.

هل قصّرتُ في محبة عماد قطري؟

في ديوانه، حيث الكلمات لم تزل تتردد بين الجدران، وحيث الأرواح المبدعة لا تموت، نجلس اليوم لا لنقرأ الفاتحة فقط، ولا لنذرف الدمع على رحيل شاعرٍ

كبير، بل لنسأل أنفسنا — بوجع من يعرف المعنى العميق للفقد — هل كنّا حقًا كما يليق به؟ هل أحببناه كما يستحق؟ هل قصّرتُ أنا، أحدَ أقرب أصدقائه، في أن أُعبّر له عن هذا الحب، في حضوره، قبل أن يُفاجئنا الغياب؟

عماد قطري لم يكن مجرد شاعر، بل كان حالةً إنسانية وثقافية نادرة. كان "صانع الفرح"، ليس فقط لقبًا يعلّق على كتفيه، بل هو اختصار لمهمته في الحياة. بذل مِن ماله ووقته وعقله وقلبه الكثير في سبيل أن يرى غيره على المنصات، أن تُطبع دواوين المبدعين، أن يُصدّر الوعي لا الوهم، والثقافة لا الضجيج.

السيرة الإبداعية لشاعر لا يُنسى..

كان عماد قطري شاعرًا كبيرًا بكل المقاييس، سكن الكلمة وسكنت فيه، كتب الشعر كما يُكتب النبض، ومضى يسكب مِن روحه في دواوينه التي بقيت شاهدةً على عصر من التقلبات والاحتراقات والحنين. مِن دواوينه:

«أحبك»، «عذرًا سراييفو»، «يا نيل»، «ما بيننا»، «العصافير»، «سيدة المواسم والأبجدية»، وكلها تحمل بصمته الخاصة: مزجٌ بين الحنين والوعي، بين الحب والغضب، بين الوطن والمنفى. ولم يكتف بالشعر وحده، بل كتب مسرحياتٍ شعرية باذخة مثل:

«المحاكمة»، و«وجع المنافي»، حيث يلتقي الشعر بالمسرح في مشهدية درامية، لا يقدر عليها سوى شاعرٍ خبرَ الألم والعزلة والانتماء.

وكان مِن أوائل مَن كتبوا عن ثورة ٢٥ يناير في ديوانه الذي حمل اسم «ثورة التحرير»، وبه استشرف ما سيكون، وعبّر عن نبض الناس قبل أن تلتقطه الشاشات. غير أن باكورة أعماله الأدبية، ومفتاح الدخول إلى عالمه الشعري، كانت «التغريبة السيناوية»، التي عبّر فيها عن وجع الأرض والوطن والتاريخ المغيّب.

ولم يكتفِ عماد قطري بالكلمات، بل أسس لها بيتًا وسندًا حين أنشأ مركز عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية، فكان هذا المركز منبرًا حرًا، يستقبل المواهب ويصنع منها شموسًا، يُحيي فينا ما نكاد ننساه من قيم الجمال والمعرفة والتكافل الإبداعي.

حين جاء الرحيل..

الخبر كان قاسيًا. رحل عماد قطري، ولم أُنهِ مكالمتي الأخيرة معه، ولا كتبت له ما كنت أُخطّط أن أكتبه. ترك فينا فراغًا واسعًا، لا تملؤه إلا الذكرى والمحبّة والدعاء. لكن مع الفراغ، ترك سؤالًا ثقيلًا:

هل قصّرت في محبته؟

هل قلت له يومًا: شكرًا لأنك كنت لي أخًا لا يخذل؟

هل عبّرت عن امتناني لكل ما فعله مِن أجلي ومن أجل العشرات والمئات؟

هل كنتُ حاضرًا بما يكفي في أيامه الأخيرة؟

هذه الأسئلة موجعة، لأنها صادقة. وهي ليست فقط عن عماد، بل عن كل الذين نحبهم ونؤجل عنهم الكلمات الطيبة حتى يفوت الأوان.

دعوة لردّ الجميل..

نعم، ربما قصّرنا. لكن لا يزال بوسعنا أن نُخلد ذكراه كما يليق به.

أن نحكي للأجيال عن شاعرٍ عاش ليمنح لا ليأخذ.

أن نُعيد نشر دواوينِه، ونُحيي اسمه في الندوات والفعاليات.

أن نستمر في دعم مركزه الثقافي، ونجعل مِن ذكراه منارة تُنير الطريق لمن سيأتي بعدنا.

أن نحِبه بصوتٍ عالٍ بعد أن لم نُحسن قولها كثيرًا في حضوره:
«**كنا نحبك يا عماد... ونحبك الآن أكثر**».

في محبة
«صـانع الفـــرح»

أ. أشـرف البولاقي

(١)

صحيح أن سقوط الصديق الأستاذ عماد قطري، يوم الجمعة ٣١/ ١/ ٢٠٢٥ مصابًا بنزيف في المخ، كان مفزعًا ومرعبًا.. وكان دافعًا وحافزًا للدعاء له والصلاة من أجلِه، لكنّ الذي كان أشدّ فزعًا ورعبًا عندي هو شبح الموت، أو رائحته التي كانت منتشرةً في الأجواء منذ سقوطِه وحتى لحظة رحيلِه.

وهي الرائحة التي تمثلتْ ــ في توقيت سقوطِه وغيابِه بضعة أيام قبل رحيلِه ــ في ذكرى رحيل القاص الأستاذ فتحي سعد الذي توفي يوم ٣١/ ١ منذ سنوات، وفي ذكرى ميلاد الأستاذ محمود مغربي، الذي رحل إثر نزيفٍ في المخ، ثم في ذكرى رحيل الأستاذ عبد الجواد خفاجي الذي رحل إثر نزيفٍ في المخ أيضًا، ثم في الإعداد لحفل التأبين الأول للأستاذ أحمد تمساح..

وإذا كان سقوط صديقِنا قطْري في يناير، فقبْل هذا التاريخ بشهرٍ واحد، كانت ذكرى رحيل الصديق الأستاذ مأمون الحجاجي..

ما هذا كله؟!

وكيف تجتمع كل هذه التواريخ القاسية والذكريات السوداء هكذا مرةً واحدة؟!

كل هؤلاء المذكورين كانوا يتعاطون الكتابة.. لم يسقط أحدهم مريضًا قبل رحيله، كلهم سقطوا فجأة دون سابق إنذار، ولعلّ نزيف المخ كان عاملاً مشتركًا عند معظمهم!

نعم.. كانت رائحة الموت ــ لحظة سقوط عماد قطري ــ تزكم قلبي، وتجثم على أنفاسي، لكن أملاً في الله يجعله في خير عافيةٍ كان يراودني..

لكنّ عماد قطري كان فارسًا، ولعلّه كان فارسًا نبيلاً، ولعلّ الله قدّرَ له أن يسقط، وأن يظل صامتًا عشرة أيام تقريبًا ينظرنا جميعًا، ويتأمل صنيعَه وصنيعنا، مبتسمًا في ملكوته الذي كان يسبح فيه وحدَه.. وبعدها غادر كما يغادر الفرسان النبلاء.

والمقرّبون مِن عماد والدكتور سحر يعرفون حجم المأساة والتراجيديا في تفاصيل ما قبل رحيل البطل، ليست تفاصيلَ أيامِ ما قبل الرحيل، بل تفاصيل ما قبل ذلك بشهور!

(٢)

بالتأكيد أنا حزينٌ على فراق صديقي الأستاذ عماد علي قطري، ويعلم الله، وبعض المقرّبين، مستوى ما ربطني به من محبةٍ في السنوات الأخيرة. ولقد سَبق لي أن كتبت عن بعض فضله وكرمِه وأياديه الخضراء عليّ وعلى بعض أهلي، كتبت ذلك في تلك الكتابة التي حملتْ اسم "الحادية عشرة بتوقيت المحبة"، وفي غيرها من الكتابات.. لكنّ حزني ــ عليه وعلى غيره ممن أحِب ــ لا يُذهِب عقلي، ربما يَحدث العكس، يدفعني الحزن لمزيد من التأمل، ولمزيد من طرح أسئلة الوجود والحياة والمصير.

مِن ذلك مثلاً:

لماذا مات الصديق هكذا فجأة؟ وهل كانت عودته من غربتِه (هكذا فجأة أيضًا!) صدفةً ليموت في وطنِه؟ وما سقف الأسئلة ــ ومستواها ــ تلك التي يمكن لنا أن نطرحها أمام القدَر والحكمة الإلهية ونحن نتأمل ما حدث وما يحدث؟!

(ليس مع عماد قطري فقط، ولكن مع غيره ممن يتشابهون معه في الظروف والأحداث.)

دون أن تعني تساؤلاتنا هذه خروجًا عن المِلة، ولا اعتراضًا على قدَر الله، لكنها محاولة فقط لقراءة الظروف الموضوعية، وتأمّل سيرة التاريخ وتأثيرها على الإنسان، أو تأمّل مسيرة الإنسان وتأثيره في التاريخ.

لم نعرف أن صديقنا كان مريضًا مرضًا مزمنًا، كان يعاني من بعض ألمٍ في ظهرِه، ويشكو من التهابٍ ما فيما يسمّى بالأذُن الوسطى، لا شيء أكثر من هذا.. وكان يروح ويغدو، ويقيم ويسافر، ويتنقل هنا وهناك، ويفكر في مشروعاته المستقبلية.. ولا نعرف على وجه اليقين ما الذي أدى إلى إصابتِه بالنزيف، هل كان ارتفاع ضغطٍ مباغت، أم تفاقم حالةٍ ما تتعلق ببعض ما كان يشكو منه!؟

ولو تأملتَ تحركاتِه وتنقلاته خلال الأيام الأربعة التي سبقت سقوطَه لعجبتَ مما تدبّره الأقدار وتحيكه لنا نحن البشرَ..

مِن المملكة السعودية للقاهرة، من القاهرة للمنصورة، ثم إلى القوصية، ثم إلى القاهرة وهو ممتلئ نشاطًا وأملاً وحيوية، واتصالاتٍ بي وبغيري يتفق على لقاءاتٍ ومواعيدَ وغير ذلك!

مات عماد قطري وترك في حلوقنا غصة، لكنْ كانت في قلبه هو غصصٌ كثيرة، منها ما يخص وطنَه، ومنها ما يخص صديقَه، ومنها ما يخص قوتَه وعمله، ومنها ما يخص الثقافةَ المصرية وموقفَ بعض مؤسساتها منه، لكنه رغم ذلك كله كان يمتلك يقينًا مدهشًا أن الله يدبّر له أمرًا فيه مِن الخير والفلاح له ما لا نعلمُه، ويبدو أنه كان صادقًا في يقينِه هذا، حتى لو بدا لنا نحن أصدقاءَه ومحبيه، أنّ فيه مِن الألم والحزن ما فيه.

(٣)

أمّا سؤالنا عن كيف ولماذا عاد صديقنا الأستاذ عماد قطْري، من المملكة العربية السعودية، هكذا فجأة، وهو الذي لم يكن يخطر على باله أن تكون عودته سريعةً هكذا وفجائية، وبلا أي ترتيبٍ أو إشاراتٍ مسبّقة.. فلعل في ذلك تدبيرًا سماويًا ليقضيَ في وطنِه.

ولقد أزعمُ أنْ كان هناك فارقٌ كبير بين أن يستوفي أجلَه مغتربًا، حيث يعمل، وبين أن يستوفيه هنا في وطنِه مصر؟

أظن، إنْ لم أكن أعتقد، أن الأمر بالنسبة له كان مهمًا وفارقًا جدًا، وأنه ما تَمنى شيئًا في حياته مثلما تمنى أن يموت في مصر. ولعل تجربته الشعرية، ومواقفه يشهدان بتعلّقه بمصر وطنًا وملاذًا.

ربما كانت هناك حالةٌ واحدة استثنائية يمكن تخيّل دورانِها في رأسه، وهي أن يموت حاجًا أو معتمِرًا.. هذه فقط أتصور أنه يفضّلها على ميتتِه في مصر.

ومِن هنا يمكن فهْم الظروف والأحداث والملابسات التي حدثت له ولزوجه في العام الأخير، وهي ظروفٌ وأحداثٌ وملابسات يبدوانِ الآن فيها وكأنهما (معًا) كانا مضطرَين ــ لأسبابٍ غير مفهومةٍ على الإطلاق ــ أن يعودا إلى مصر، بعد سنواتٍ طويلة لم يتخيل أحد خلالها أنهما يمكن أن يستقرا في مصر، ولماذا يعودان للاستقرار والإقامة والرجل يعمل هناك مهندسًا، وتعمل زوجه أستاذةً بالجامعة، والناس لا يعلمون شيئًا مما يدور هناك، ولا مما تدبّره السماء!

فجأة، أنهت الإدارة الجامعية بالسعودية عقد عمل الأستاذة، بلا سببٍ مفهوم إلا تفوّقها واحترامها لنفسها وتخصصها! (تفاصيل ذلك مؤلمة وموجعة، لكنها الآن تبدو مفهومة ــ سبحان الله ــ!)

وبعدَها بقليل أنهت الشركة الهندسية هناك تعاقدَها مع المهندس الذي يعمل عندها، بلا سببٍ أيضًا إلا هذا السبب الاقتصادي الضاغط، ورغبةَ رأس المال في التخلص ممن يبدو التخلص منهم سهلاً!

ومثلما يحدث في مثل هذه الأمور، كان يمكن للصديق وزوجه أن يبحثا عن فرصة عمل في مكانٍ آخر هناك، هكذا (كانت) الأمور تجري دائمًا من قبل، لكنها (كانت) ولم تعد كذلك!

كل شيء ضغط على الصديق وزوجه ليعودا إلى مصر عودة تشكّل علامة استفهام كبرى لحظة أن تتأملها؟!

كانت هناك آمالٌ عند الصديق في فرصة عمل هناك يمكن أن تأتي، لا بأس أن ينتظر، لكنّ انتظارَه لا بدّ وأن يكون في مصر، وليس في المملكة حيث لا عمل هناك.

قبْل أسبوعين تقريبًا من سقوط الصديق، سافر مضطرًا إلى المملكة ليصفي تمامًا أعماله وارتباطاتِه هناك، ومِن ضمنها مسكنه هناك وأثاثه.. ثم عاد ليبدأ في التفكير فيما سيصنع.

ورحيل صديقِنا المباغِتُ وحدَه الآن يمكن أن يفسّر لنا لماذا حدث ما حدث!

حدث في غفلةٍ مِنا جميعًا، مِن عماد نفسِه، ومِن زوجِه، ومِنا؛ إذ كان مستحيلاً لأسوأ سيناريوهاتنا أن تصل إلى ما حدث.

حسنًا.. إنها إرادة الله.

(٤)

قبل ثلاثين يومًا تقريبًا، كانت الصديقة الدكتورة سحر محمود عيسى، تقدم برنامجًا على إحدى القنوات الفضائية، بعنوان "رياحين القلوب"، كانت تريد أن تحقق مِن خلاله شيئًا مِن أحلامها وطموحاتها في تقديم محتوى إعلامي جاد وهادف ومحترم، على الأقل من وجهة نظرها.

وقدّمت ثلاث أو أربع حلقات، ذاقت خلالها حسراتٍ ومرارات، وعرفتْ معنى أن يكون المرء عاجزًا وآيسًا تمامًا مِن صنع أي شيء داخل منظومةٍ منهارة!

ليس هذا شاهِدنا الآن مِن الكتابة، لكنّ شاهِدنا يبدأ من أن تواصلاً ما كان بيننا حول برنامجها ومادته، وحول رأيي في كل حلقة، إلى أن جاءت اللحظة التي قررتْ فيها أن تكون إطلالتها في البرنامج آخر إطلالةٍ لها، بعد إدراكها ألا جدوى من أي شيء.

قدّمتْ حلقتها الأخيرة باستضافة الصديق الأستاذ عماد علي قطري، شاعرًا ومثقفًا، وأدارت معه حوارًا حول تجربته الشعرية، وحول بعض رأيه الأدبي أو

الثقافي، ولم تُخفِ عنا نحن المشاهدين أن الضيف زوجها، بل أعلنت ذلك في مقدمة الحلقة، وخاضت حول تجربة أن تستضيف مقدِّمة برنامج زوجها، أو تجربة استضافة مقدِّم برنامج زوجَه، وقالت إنها تعرف جيدًا حرج ذلك وحساسيته، لكنها رغم ذلك تفعل وتقدّم وتستضيف.. وانتهت الحلقة بعد الحوار، وانتهى البرنامج.

وكان طبيعيًا أن تسألني عن رأيي الذي لم أكتمه عنها، وأعربتُ لها عن نقدي واختلافي، ليس حول استضافة عماد قطري الصديق، ولكن عن إقبالها عليه في البرنامج، وعن إظهار محبتها وتقديرها لتجربته الشعرية، الأمر الذي يطعن في حياديتها وموضوعيتها كإعلامية.

وكعادتها احترمتْ وجهة نظري رغم محاولتها تفنيدها وإقناعي بوجهة نظرها.

انتهى تواصلنا حول الحلقة، مثلما انتهت الحلقة وانتهى البرنامج، مثلما انتهى عماد قطري إلى ما انتهى إليه، وإلى ما نحن منتهون إليه جميعًا آجلاً أو عاجلاً.

لكن الذي لم ينتهِ ولن ينتهي هو العالَم والتاريخ، هو الحدث والسيرة، هو التجربة والتأمل وإعادة تدوير الفكرة مرةً إثر مرة، هو الأسئلة الموجعة:

ما الذي جعل الدكتورة سحر تختار عماد قطري ليكون ضيفَها في هذا التوقيت؟!

هل يمكن أن يكون ما حدث وحيًا أو إلهامًا لها دبّرته السماء لتكون هذه الحلقة دفئها وأُنسَها في ليالي البرد والوحشة والحَيرة والألم؟

لقد كانت الحلقة نموذجًا مختلفًا عن طبيعة أي علاقة أو لقاء يجمع بين حبيبين أو زوجين، إنه لقاء حب، وثقافة، وشِعر، وتقدير مصور بكاميرات، يختلف تمامًا عن لقائهما في البيت، أو في مكانٍ عام، أو في نزهة.. إنه لقاء قَل أن يتكرر في الحياة.

عندما أتذكر الآن رأيي حول الحلقة، وقسوتي عليها، أتأرجح بين صرامة رضاي عن نفسي وحِدتي في ذلك، وبين ابتسامةٍ حزينة أتأمل بها كيف يبدو ما أنكرتُه يومًا ما حلوًا وجميلاً من زاويةٍ لم أنتبِه إليها في حينها!

يا ألله... سبحانك!

وليّ الله الرّاحل

«عماد قطري».. ظاهرة لن تتكرر

أ. عبد الناصر أبو بكر

ظللت أبحث عن وصفٍ يليق بهذه الحالة الإنسانية المدهشة عقدًا من الزمان.. فلم أجد ما يشفي الغليل، ويضع الأمورَ في نصابها الصحيح.. حتى قرأت كلمة تأبين كتبها بماء العيون الصديق الشاعر حسني الإتلاتي، يصف فيها الراحل الضخم عماد قطري بأنه "ولي مِن أولياء الله".

نعم والله، هو كذلك، فنحن نحسبه على خير، ولا نزكّي على الله أحدًا، ولا نبخس الناَس أشياءهم أيضًا، ففي كل حادثة من حوادث الحياة القصيرة كان لفقيد الإنسانية كرامات، وفي كل دربٍ من دروب المروءة كانت له خفقة نعل، وما أصاب الوسطَ الأدبي في مصر وفي العالم العربي مصيبة أكبر من رحيل هذا الولي الصالح.

لا أستغرب ما أقرأ من شهادات الذين تفيّأوا ظلال الراحل عماد قطري، ولا أندهش مِن كثرة الباكين حولي، فأنا مِن الذين طعموا خيره، وشربوا مِن دِنان إنسانيته المعتّقة، ووجدوا في صحبته ضالتهم، واستغاثوا به في لحظات الضعف الجسدي والروحي، ونظموا فيه الأشعار عندما ربتت يده البيضاء على هذا القلب المكسور في يومٍ مِن أيام الله:

«كأنَّ الله أرسل لي عمادًا

ليفقأ عين مَن كسروا الفؤادا».

لا أتصور أنّ هناك مَن سيأتي بمثل ما أتى به هذا الوليّ الصالح مِن كرامات، فهو الجابر للخواطر لوجه الله، والصانع للأفراح لوجه الله، والمنفِق مِن أمواله

إنفاق مَن لا يخشى الفقر لوجه الكريم، وهو الكريم في خيام العشيرة وخارجها، والودود مع الأدباء والشعراء على اختلاف ألوانهم وعقائدهم وأهوائهم وأمزجتهم، وهو البعيد عن النفاق والشقاق وسوء الأخلاق، عفيف القلب واليد واللسان، الصوّام القوّام المستحق للتقدير والاحترام.

كنتُ أبتسم كلما روى الشاعر عادل صابر القصةَ التي يسردها عن شوق والدته للحج، وتحمّل الراحل عماد قطري لنفقات الرحلة كاملة، وكنت أستغرب من عطاء الرجل إلى أن تذوّقت بنفسي طعم العطاء، ومَن ذاق عَرف.

كنت في زيارة لبيت الله الحرام منذ ثلاثة أشهر، فعلِم صديقي الراحل عماد قطري أنني في مكةَ المكرمة، فظَل يبحث عن محل الإقامة حتى اهتدى إليه، وما لبث أنْ جاءني سيرًا على الأقدام، رغم مرضه الشديد، وهو يحمل في يده المتعَبة حقيبة بلاستيكية فيها سِجّادة صلاة، وزجاجة عطر، وعلبة تمر، وثوب جديد، وأشياء أخرى لا أتذكّرها ولا أنكرها، فسلّم عليَّ سلامًا يبعث في النفس الطمأنينة، ويتناغم مع روحانيات البلد الحرام، ثم دفع إليّ بالهدية الثمينة وهو يعتذر عن تقصيره في حقي بسبب المرض، ثم قصدَ بيت الله الحرام لأداء العمرة، وتركني أذهب إلى الفندق للتخلص من حقيبة الهدايا، ثم ألحق به إلى الحرم، وهناك اجتمعنا بالقرب من برجٍ سكني قال لي إنه شارك في إنشائه، ثم هداني تفكيري إلى توثيق تلك اللحظاتِ الطيبة مع صديقي لعلّي لا أراه بعد ذلك أبدًا، فكان هذا التوثيق الذي بين يدي أحباب الفقيد، والعجيب في الأمر أنه تناول في حديثه حياة الإنسان القصيرة، وكأنه ينعي نفسَه!

ليس ذلك فقط ما طوّقني به ذلك الإنسان الرائع من أفضال، ففي موسم الحج الماضي علِم بوجود أمّ الأولاد هناك، فتواصل معها، وعرض عليها مبلغًا من المال على سبيل الواجب الذي يعجز عن القيام به بسبب ظروف أهله الصحية، فمنعها الحياء وعزة النفس من قبول المال، فاشترى بالمبلغ هدايا وأقسَم عليها أن تحملها إلى أبنائها على سبيل الهدية مِن عمّهم عماد، وما زلت أشمّ رائحة الجنة فيما

قدّمت يداه، ليس ذلك فقط.. فللراحل الكثير والكثير من الأفضال التي أضربُ عن ذِكرها صفحًا ليجازيه الله عنها.

هذا ما قدّمته يد عماد قطري لشخصٍ واحدٍ كانت بينهما مودّة، فما بالنا بعشرات الأدباء والشعراء على امتداد الحزن في هذا الوطن!

كم عُمرةٍ أدّاها ذلك الولي الصالح.. ثم وهب ثوابَها للرّاحلين من الشعراء والأدباء والفقراء!

وكم كتابٍ قام بطباعته على نفقته الخاصة ليُدخل السرور على قلب شاعرٍ في الظل يعاني التّهميش والإهمال وعدم التقدير!

وكم هديةٍ أهداها لضيوف الرحمن طوال إقامته في مكّة المكرمة!

رحمة الله وبركاته على روحك الطاهرة أيها الوليّ الصالح في زمنٍ كنّا نظنّ النساء فيه قد عقمت عن إنجاب الأولياء.

وخالص العزاء لأهلك وأحبابك في كل بقاع الأرض، والعزاء الأكبر والأضخم لرفيقة دربِك معالي الدكتورة سحر عيسى.. التي لا نشكّ في أنها ستحمل راية العطاء والمروءة والوفاء مِن بعدك حتى نهاية الطريق.

«عماد قطري»
روح مثمرة بالمحبة
وقطرة خير وإنسانية

أ. محمد عبد الحميد توفيق

– ما صنعه من عطاء.. سيظل ساطعاً في نفوس مَن مسح دموعهم بمناديل محبته–

لم أكن أتخيل أن لقائي بعماد قطري في مدينة الأقصر هو الأخير، فخلال خمسة أيام متواصلة، هي مدة مهرجان بيت الشعر، التقيتُه كثيرًا وجلسنا وتحاورنا طويلاً حول قضايا ثقافية وسياسية واجتماعية وعملية، ثم تطرقنا بالحديث إلى حياة كل منا في الخليج، هو في السعودية وأنا بالكويت، وفي كل حوار أجده باسمًا، وفي كل تعاملٍ ألقاه سمحًا سهلاً لينًا مُحبًا ودودًا زاخرًا بالإنسانية والتسامح والخير.

كان هذا اللقاء الأخير في نوفمبر ٢٠٢٥، وسبقه لقاءان في السعودية، وتحديدًا بمكةَ المكرّمة، وما إنْ علِم عماد بقدومي حتى سارع بالمجيء إليَّ.. هاتفني: " أين أنت الآن؟" .. أجبتُه : أنا في الفندق.. وبعد أن وصفتُ له المكان جاءني مُحمَّلاً بفاكهة وطعام ومشروبات وهدايا.. قلتَ له: هل تظنُّ أن واحدًا ضئيل الجسد مثلي سيأكل ويشرب كل هذا الذي أتيتني به؟ أجابني ضاحكًا: الشعراء مسرِفون في الطعام والشراب، وأشياءَ أخرى يعف اللسان عن ذِكرها، ونحن على مقربةٍ من الحرَم المكي!

طوال إقامتي في مكة كان عماد يحرص على زيارتي يوميًا، وفي كل جلسة معه أكتشِف فيه إنسانًا من طرازٍ فريد.. ومصريًا باذخ الوطنية، مُحبًا لمصرَ ونيلها

وترابها ومعالمها.. عاشقًا لحضارتها وتاريخها.. مؤمنًا بقدرة شعبها على الخروج من كبوته والنهوض مجددًا بمخزونه الحضاري، وجيناته الثقافية والتاريخية وعلامات نبوغه وتميزه، حتى وإن جارت عليه الأزمنة، وتعثرت به الخطوات.

****

ملامحه البسيطة لا تخلو من عمق المثقف وسرعة بديهة الشاعر، تأملتُ وجهه ذات يومٍ متفحصًا بنظرةٍ ثاقبة.. فباغتني بالقول ضاحكًا: ما لك يا عم محمد، سرحان في إيه؟ قلتُ له: أرى بعينيك حزنًا غائرًا يا عماد. قال لي: صدقتَ، ولم يكتشف ذلك إلا ثلّة من الأحباب.. ومن الغريب أنك سبرتَ أغوار نفسي، وعلِمت حزني الدفين رغم لقاءاتنا القصيرة وصداقتنا الوليدة التي لم يمر عليها الكثير.. قلتُ: يا عماد العلاقات الإنسانية لا تُقاس بالمدة.. بل بترمومتر المحبة والتناغم الروحي والمشتركات حسًا ورؤيةً ووعيًا وثقافة.. ورُبّ عائشٍ معك دهرًا لا تزداد منه إلا غربة، وعلى النقيض رَبَّ لقاءٍ وحيد مع شخصٍ يشعرك بأنه منك قريب، ولقلبك حبيب.

****

كان عماد قطري مؤسسة ثقافية تمشي على قدمين، فقد آمن بفكرة تقديم الدعم للأدباء ومساندتهم بطبع كتبهم، وأنفقَ مبالغ طائلة مِن عرَق جبينه على المركز الثقافي الذي يحمل اسمه، وقام بتنظيم الكثير من المسابقات، وخصص لها جوائز مالية، فضلاً عن طباعة الدواوين الشعرية لمئات الشعراء من مختلف الأجيال، ومِن كافة ربوع الأقاليم المصرية.. ورغم تحفظي على آلية تنفيذ هذا المشروع الثقافي، لكن سيظل ما صنعه عماد قطري علامة ناصعة في الساحة الثقافية، ودليلاً على العطاء والإخلاص في خدمة الأدباء والحركة الأدبية المصرية.

****

كان عماد قطري حضنًا دافئًا لجبر الخواطر، وبإنسانيته صنع هالة خير.. ففي الساحة الأدبية لم يترك شاعرًا بحاجة إلى طبع كتاب أو ظلمته دهاليز المؤسسات

الثقافية الرسمية، إلا وسارع بالتبرع بطباعة كتابه محبةً واعترافًا بأحقيته في أن يرى عمله للنور.. وخارج الساحة الأدبية امتدت أيادي عماد قطري البيضاءُ إلى الكثير من الفقراء والمعوزين. وكان بلمسًا للمنكوبين، ومنقذًا للمُعسرين ومَن جارت عليهم نوائب الدهر وكبوات الأيام، فلم يسمع بمكروبٍ إلا وسارع بإقالته من عثرته، وتخفيف كربِه وهمّه.. وكم مِن مَرضى أدخلهم المشافي على نفقته الشخصية، وكم مِن حزانى ومكلومين وقف عماد بجانبهم مواسيًا بالتعاطف الإنساني تارة، ومساعِدًا لهم بالمال تارةً أخرى.

****

البساطة عنوانه، والمحبة الإنسانية ديدنه ودينه، والخير الذي أثمر في روحه جعلني أتنبأ له بالرحيل المبكر.. فالطيبون يغادرون دنيانا سريعًا.. وأبناء النور ينتقلون إلى الملكوت الأسمى خفافًا.. لكنهم يزرعون في كل أوقات حياتهم شتلاتِ الخير والحِنو والعطف والتعاطف، وكأنهم يكثّفون سنوات عمرهم ليضاعفوا أعمالهم الخيّرة المضيئة، ويكتبون في سجل الإنسانية ملحمةً عامرة بالمحبة.. وسيرة باذخة بالمودة الصافية.. فطوبى لعماد قطري وهنيئًا له ما صنعه من عطاء، وما جادت به روحه من خيرٍ ونماء سيظل ممتدًا في نفوس مَن مَسح دموعهم بمناديل محبتِه.. ومَن بلسمَ آلامَهم بأنامل نوره وخيره وفعاله الطيبة.

«عماد على قطري»

أ. عمــرو الشــيخ

لم يزل عطر وردِه وودِّه حولنا..

آثرتُ أن أصبر فترة من الوقت تتجاوز الشهرين قبل أن أكتب عن النبيل الراحل؛

فليس مثل عماد قطري مَن نوفي بعضًا من استحقاقاته في رقابنا بأن نؤدي فيه واجبَ عزاء بكتابةٍ تقليديّة، في ازدحام الكتابات ــ المنشورات ــ المتشابهة.

بل لن أكون مبالغًا إذ قلت إنني والله لم أزل عاجزًا عن مواجهة زوجِه ابنة الأصول د. سحر محمود عيسى؛ فأنا أعلمَ مصابَها وليس لديّ ما يليق بمواساتها، وتقدير حزنِها حق قدره..

أحاول الآن، وبعد تلك الفترة، أن أستوعب أن نبيلاً مثل عماد قطري كان يعيش بيننا كشاعر، بكل ما تحمله الصورة الذهنية لأبناء الأقاليم مِن تصوراتٍ حول مثالية شخصية الشاعر وفضائله.

نعم كان مثاليًا في زمنٍ صار مِن طبيعته أن يعادي المثاليين، ورغم وعيه بذلك، ورغم يقينه من فداحة الثمن لم يتردد لحظة في حياته عن فتح قلبِه للآخر، ومدّ يديه للآخر. نعلم أن عماد قطري أسس وافتتح دارًا للنشر، وأسس جائزة سنوية باسم مؤسسة عماد قطري للنشر والتوزيع.. قدّم فيها الفرصَ لمئات الشبّان في مصرَ دون أي مقابل.

أذكر أننا تعارفنا منذ أكثر من اثنتي عشرةَ سنة، عن طريق الفيس قبل أن نلتقي فعليا.. وأذكر أن بداية تعارفنا كانت مقالاً نشرته في صحيفة "المساء" أستنكِر فيه تأخر هيئة قصور الثقافة في طبع ثلاثة دواوين لثلاثةٍ من شعراء جيلي حينها، وأن

الأمر بات سخيفًا أن تؤخّر أعمال المبدعين الذين لا واسطة لهم، ولا حول ولا قوة لهم.

تواصلَ معي مِن السعودية ــ رحمة الله عليه ــ يومها، وأبدى انزعاجه الحقيقي مما حدث للشعراء الثلاثة، وأثنى على مقالي، ثم استأذن أن يكلفني بمهمة سؤالهم واستئذانهم إنْ كانوا يسمحون له بنشره لدواوين الثلاثة أم لا.

فانبهرت بموقفه ومشاعره، ولغتِه وكرمه.. وبالفعل استأذنت الشعراءَ الثلاثة، فرحبوا بالطبع، وعلى الفور وفي أقل من شهر نُشِرت الدواوين الثلاثة!

لم يكن هذا كل غيث عماد قطري

بل كان أول الغيث وأول المحبة..

خالص عزائي لكل محبي عماد قطري

خالص عزائي للدكتورة سحر عيسى، ولها الحق كل الحق أن تلتمس لي العذر فتتقبل اعتذاري.

أو لا تصدق ما ذكرته عن طريقتي في عزاء المقربين.

متى يتم تكريم
«عمـــاد قطري؟»

أ. حسـني الإتـــلاتي

(١)

الغالي المهندس عماد على قطري، الشاعر المصري المنتمي صاحب التغريبة السيناوية (سبعة دواوين يؤرخ لجغرافيا سيناء الإنسان، والزمان والمكان، العادات والتقاليد، الحزن والأفراح، النصر والانكسارات)

وهو صاحب الحس الملحمي في القصيدة الحديثة، وهو صاحب سبعة دواوين رومانسية سبقت التغريبة السيناوية، ودائمًا كنتُ أقول شاعر الحب هو الوحيد القادر على شِعر المقاومة؛ فالحرب كالحب تحتاج قلبًا عظيمًا.

وهو صاحب كل المبدعين، وهو العازف عن الدنيا وأضوائها، وهو الناسك المتنسك، قوّام الليل.. هذا ما أشهِد اللهَ عليه، فقد شرّفني أخي عماد أن أكون شريكًا له في غرفة الفندق فترةَ مهرجان الأقصر الدولي للشعر العربي، من ١٨ نوفمبر المنتهي في ٢٢ نوفمبر.

فكنّا طيلة مدة الإقامة نحكي معًا، نتناقش ونتحاور معًا، نتناول طعامنا معًا، وهذا شرفٌ لي عظيم، وكانت فرصة لنحكي بعض سيرتنا الذاتية التي لا يعرفها الآخر.

بدأت محبتي العظيمة له حين صرحتْ لجنة التحكيم ٢٠١٤ تقريبًا أنّ ديوان "الأبيض يفرض سطوته"، تجربةٌ متميزة تستحق النشر، لكنّ الدرجات تُمنح لكتابٍ واحدٍ فقط، فقرر فورًا نشر الديوان دعمًا لإشادة لجنة التحكيم.

مَن سقاك ماء الزير فقد داينك العمر كله، وهو سقاني فرحًا عظيمًا أن نشرَ ديواني ووزعه على مستوى الوطن العربي، فكيف لا أكون مَدينًا له؟!

مِن يومها نَشَرت عنه أكثر من ألفَيْن منشور، كلما نشرت قصيدة من ديواني "الأبيض يفرض سطوته"، أذكر مركز عماد قطري تحت القصيدة.

هو صاحب مركز عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية، مركز غير ربحي، لا يقبل التمويل مِن أي شخص، أو أي مؤسسة، أو دولة، نَشر على نفقته الخاصة ٧٥٠ كتابًا بمتوسط مليون ونصف جنيه بالقيمة الشرائية للجنيه قبل ثماني سنوات.

سافر عماد قطري شمالاً إلى المنصورة عاصمة الإبداع، وسافرتُ جنوبًا إلى أسوان عاصمة التاريخ..

أنا ابن إقليم المنيا الخصيبة، إقليم فرعوني قديم معناه أرض الحكمة والإبداع.

سلامٌ على مصرَ في كل وقتٍ وحين.

وليُّ الله الصالح عماد على قطري ليس مدفونًا في الأرض، بل مدفونٌ في قلوبنا. اللهمّ نسألك له الفردوسَ الأعلى صحبةَ النبيين والصدّيقين والشهداء..

آمين، آمين.

وصلِّ اللهمّ وسلّم على سيدنا محمد.

(٢)

أنا مَدينٌ للشاعر عماد على قطري طولَ حياتي لِما صَنعه لي من سعادة.

رشحتْ لجنةُ التحكيم كتابي للنشر العام، ووافق الرجل دون تردد وهو لا يعرفني ولم يلتق بي على أرض الواقع.

فإذا كان الوفاء لمن قدّم الخير لنا جريمة، فأنا معترفٌ بجريمتي.

هذا الرجل تَكبّد من ماله الحلال أكثر مِن نصف مليون جنيه في طباعة كتب لأدباء مصريين وعرب لا يعرفهم، وهو يعرف أن الأدب والثقافة تجارةٌ خاسرة، ولكنه ظَل مصِرًا على مواصلة الطريق في تبنّي المواهب، وإخراج إبداعاتها في طبعاتٍ لائقةٍ راقيةٍ فخمة...

بدون مناسبة، ولوجه الله أقول إنني أحِب الشاعر عماد على قطري، وأشعر بكل ما يشعر به، أتألم لألمِه، وأفرح لفرحِه

التقينا مرتين أو ثلاثًا أو أقل من أصابع اليد، لكنني منجذبٌ إليه انجذابَ المريد لمقام الوصول.

وأعلم مِن نظرات عينيه حزنًا عظيمًا وانتماءً لوطنه يفوق انتماء المريدين لشيوخهم،

وأعلم أنّ اغترابَه اغترابُ الدّر واللؤلؤ النفيس.

وأنّ الاغتراب هذا هو قدَر هذه الدنيا النكِدة التي لا تعطي مَن يستحق ما يستحق.

كلما رأيته يمر معلقًا على قصيدةٍ لي، أو لغيري، أتألم لهذا التواضع العظيم والتفاني في دعم الآخرين.

اللهمّ إنّا نحِب هذا الرجل لوجهك الكريم، فاجمعنا به حول حوض نبيّك، واشملنا معًا برحمتك وغفرانك وشفاعة نبيّك، وامحُ عنا ذنوبَنا.. أنت أهلٌ ذلك كله والقادر عليه.

وصَلّ اللهمّ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

أخبِروا مَن تحبونهم أنكم تحِبونهم؛ فهي سُنّة نبوية مطهرة.

(٣)

متى يُكرمّون عماد قطري؟

كعادة الكبار الحقيقيين في هذا الوطن، غالبًا ما يتم التعتيم على مشروعاتهم أو إنكار جهودهم أو محاربتهم أو تشويههم، أو كل ما سبق، لا سيما ولو كانوا رجالاً شرفاءَ لا عيبَ ولا غبار عليهم.

مِن هؤلاء الحقيقيين: هذا الرجل (عماد على قطري) ومِن ماله الخاص مِن عمله مغتربًا منذ عشرين عامًا، ولا يزال، وبدون دعمٍ مِن أحد لا في الداخل ولا

في الخارج يواصل هو وكتيبته من الشرفاء نشر أكثر من خمسمائة عنوان لمبدعين لا يعرفهم ولا يعرفونه، مبدعين بطول مصرَ وعرضها، من أسوان أقصى الصعيد إلى سيناءَ والإسكندرية والدلتا، ينشـر للفائزين في مسابقته السنوية، ويدفع جوائزهم، ويسلّمهم خمسين نسخة من كتبهم، ويقيم لكتبهم حفلات التوقيع.

كذلك ينشر عماد خارج مسابقاته لكل أديبٍ حقيقي جيد، يتم ترشيحه مِن خلال مثقفين متحققين يثق عماد في أمانتهم.. ويشارك الرجل مع مؤسسته غير الربحية «**مركز عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية ــ صنّاع الفرح**»، بكتب السادة الذين نشر لهم في معارضَ على امتداد الوطن العربي، على نفقته الخاصة، وهو يعرف جيدًا أن سلعة الثقافة -في وطنٍ لا يقرأ غير كتب الطبخ والسحر والحسد، والكتب التي تخاطب الغرائز ــ هي سلعة كاسدة، لكنه بأخلاق الفرسان يواصل المعركة.

ولو كنّا في مناخٍ صحي، لشاركتْ مؤسساتنا التعليمية، والشباب والرياضة، ووزارة الثقافة في دعم مشروع الرجل، ولو بشراء نسخٍ من كل ما طبعة، وهل يطبع الرجل غير ثقافةٍ جادة وإبداعٍ حقيقي لشبابٍ مصري جادّ وموهوب، أو كبار حقيقيين لم ينالوا فرصةً أو نالوها على استحياء؟!

ولو كنّا في مناخٍ صحي أفضلَ من هذا، لنهضوا لتكريمه بما يليق به وبما يستحق.

فهل مِن أملٍ أن تتبنّى مؤسساتنا كلَّ مشروعٍ ناجح بالدعم فقط، أو بالدعم والإشادة معًا؟ ربما نكون صادقين جدًا، ومنصفين لو قلنا إنّ عماد قطري مؤسسة ثقافية مقاوِمة وساترة لعورات مؤسسات حكومية تشوبها المجاملات والمصالح، فنرى أنصاف المواهب تنشر غثاءها، في حين يقبع الحقيقيون في كهف التجاهل والنكران.

كل التحية للشريف عماد قطري وكتيبتِه مِن المقاتلين الشرفاء.

«عماد علي قطري»
بين الرحيل الموجع، وبقاء الأثر

أ. سـيد يوسـف

فوجئتُ وفجِعت، كما فوجئ وفُجِع كل محبي الإبداع المقرون بالفعل الثقافي، بوفاة الحبيب الفارس النبيل الأستاذ عماد على قطري.. الرجل الذي يعدل في إبداعه الفني، وصِدق محبته ودعمه للإبداع والمبدعين، وتأثيره الفاعل الذي يفوق تأثير مؤسساتٍ يقوم عليها ويعمل فيها آلاف.. أمّة من المبدعين الحقيقيين..

رحلَ عماد علي قطري بعد أن أسس بنشاطه الإبداعي والداعم للإبداع والمبدعين طريقًا ممهدة، سار فيها واستظل بظل خمائله ــ المنصورة على طولها ــ كثيرون مِن المبدعين في طول بلادنا وعرضها..

رحلَ بعد أن أثبت عمليًا أنه يمكن لفردٍ واحد أن يترك مِن الأثر في القلوب والعقول ما لا مَزيد عليه، وأكّد بصدقه أن دعم المبدع يكون بالفعل لا بالكلام، وضربَ بسلوكه النبيل أفضل مثالٍ للمثقف العضوي الحقيقي الذي يصدق فِعلُه قولَه، ويدعم تصرفه كلماته..

رحلَ عماد علي قطري وبقي أثر فراشتِه في القلوب والعقول.. ونور مصباحِه في دروب الإبداع في بلادنا..

الحق أقول.. إنّ رحيل عماد علي قطري هو ضربة موجِعة للوسط الأدبي، ليس في مصرَ وحدها، بل في بلاد العرب كلها.. فهذا الرحيل الذي جاء دون إنذار ترك ملفات مفتوحةً كثيرة، ربما لا يفلح جهد كثير من أفراد كثيرين في دعمها لتظل مفتوحة، وأشجارًا ربما لا تجد مَن يرويها بعده.. ومحاولاتٍ صادقةً للفعل الثقافي المؤثر قد لا يعوّض غيابها الذين غابت عنهم برحيله..

أعزّي نفسي والشعرَ والشعراء، والإبداعَ والمبدعين، في رحيل هذه القامة السامقة من قامات مصر الإبداعية والثقافية.. ولا أقول عنه وفيه وله إلا ما يرضي الله.. إنّ العين لتدمع.. وإنّ القلب ليحزن.. وإنّا لفراقك يا صديقي لمحزونون.

«عماد علي قطري»
وخفّة الملائكة

أ. سعيد شحاتة

عاود يا ليل جوه القلوب ليّل
..... وكفايه توزن هم وتكيّل
ما اعرفش هو الموت لسانه طويل
.... واللا الملايكه عمرها قليّل

لقلوبهم النقية وأرواحهم الطاهرة كل هذه المحبة وكل هذا السلام وكل هذه القناعة، لهم الخلود هناك بأفعالهم وأقوالهم وملامحهم البريئة، وكلامهم الطيب، لهم القصائد الرحيمة هنا، وحواديت المخلصين التي لا تنتهي...عاشوا يربتون على قلوبنا بمحبة، ويُطَمْئِنُون أرواحنا برضا وسَكِينة ووداعة، ويبتسمون للحياة ابتسامة المودع الجالس على أريكة الخلود بلا ضيق ولا توتر... هم من خُلقت لأمثالهم هذه الحياة، وهم فقط من يحملون عن هذه الأرض خطاياها ويودعونها بسلام آمنين آمنين آمنين... آمين.

في جمعية الأدباء عام ٢٠٠٩ دعاني الشاعر يسري العزب إلى المنصة لإلقاء قصيدة، فألقيت قصيدة (خلايا صفيح) أتذكر هذا جيدًا، قلتها وعدت إلى مقعدي في الصالة، أثناء عودتي للمقعد أوقفني رجل أنيق، مهذب، طيب السمت وحسن المنظر، مظهره ينم عن مخبره، توقفت أمامه والدكتور يسري ينادي على شاعر آخر، فسلم عليّ في عجالة وأهداني يدي مرة أخرى وهو يقول: ما تمشيش عشان عايز أتكلم معاك... وجلس مكانه كنخلة قامت من مقامها وعادت بنفس بهجتها وخضرتها وبهائها وعناقيد طرحها التي لا تنضب...

الموت كأنه طلع من القمقم
عفريت بيرمح ع الطريق سعران
مش همه غير النهش في الجدران
طالع جعان... عريان... ماهوش دريان
بيحشّ ورد جناين الإنسان
وبيكسر النخل الملان بالطرْح

ربما تجيء الصدف على هذا النحو لتكشف لك النقاب عن ملائكة متوارين في هيئة بشرية، وربما لا تجيء إطلاقًا، وربما تتعثر قدمك وسط طريق وعرة، في صحراء مخيفة، فينفتح العالم أمام عينيك لترى البئر والصديق والمدد، كلها نوايا وأرزاق، المهم إخلاص النية، وإخلاص النية يحتاج إلى قلب سليم يرشدك على هؤلاء، أو يدلهم عليك، الإنسان صندوق مقفل كما يقول الفلاسفة والبلغاء والدراويش والمتصوفة، هذا الصندوق مفتاحه الروح، حينما تنبعث ملامحها من الأعين؛ في ذلك الحين سيرشدك لاوعيك إلى شبيهك، أو صديقك، أو نبيل تود أن تراه وتتعرف عليه، هذا ما أعددته في الماضي البعيد، وهو ما تفتش عنه بين كل هذه الأنقاض المترامية في عالم الناسوت...

انتهت الندوة وخرجت متباطئًا، وإذ بصوت مفعم بالمودة: يا أستاذ، يا صاحب قصيدة الخلايا الصفيح... استدرت وسلمنا ثانية، بنفس الطيبة: ما قلتلش أنت منين؟

ابتسمت قائلاً: ما الدكتور يسري لسه قايل مع سعيد شحاتة عين أعيان مطوبس.

ضحك: وفين مطوبس؟

فأجبته: في عين أعيان محافظات مصر، كفر الشيخ العظيمة...

فابتسم، وعرفني بنفسه، وبطبيعة عمله، وتحدثنا وكأننا صديقان منذ أزمان بعيدة، تكلمنا عن العامية، وعن الشعر في مصر وتطوراته، وما آلت إليه الأشياء،

وعن بعض أمنياته التي يريدها أن تتحول إلى حقائق، كان شغله الشاغل من هذه الأمنيات هو الآخر، البحث عن الحق الضائع للحقيقيين، لم أعرف ما الذي ينوي فعله، لكنني أيقنت أنني أقف أمام إنسان نقي، ومثقف من طراز مختلف، وشاعر يتسم بالفروسية في زمن عزت فيه كل هذه الصفات...

لا أحب المداومة على أمسيات الشعر، ولا الجلوس طويلاً في هذه الحلقات المفرغة، ولا أحبذ أن يذهب شاعر لينظر دوره بين خمسمائة شاعر لا يسمع أي منهم الآخر، لكنني في هذه الأمسية أدركت أنني مخطئ، لأن هناك من سمعني، وتفاعل مع قصيدتي، وأوقفني لنتحدث، كسبت صديقًا جديدًا في هذه الليلة، شاعر اسمه عماد علي قطري، مصري مشبع بطمي نيلها، ولآلئ فردوسها، وأتربة حواريها، وبراءة طيّبيها، وأخلاق فرسانها...

أهلاً بك صديقًا جديدًا، ربما نتقابل بعد حين، في أمسية أخرى، أو ربما هاتفتك قريبًا للاطمئنان عليك، سنقرأ شعرًا كثيرًا، لا تنزعج مما يحدث حولك، وأكمل... قالها وهو يدخل في حيز الغياب بميدان التحرير، وأنا أتوارى خلف حوائط المترو للحاق بالقطار الأخير المتجه إلى المرج الجديدة..

حاسب يا موت البنت لسه بنوت
..... والواد مازال عيّل
عاود يا ليل جوه القلوب ليّل
وكفايه توزن همّ وتكيّل
يا شاب راكب ع الحصان مفرود
رايح لفين وامتى الغريب هيعود
ربك في كل مكان يا خيل موجود
فارجع بناسنا لأرضنا وميّل
ما اعرفش هو الموت لسانه طويل
..... واللا الملايكه عمرها قليّل

رائحة الحوائط التي تحوي الشعر هنا عتيقة، وطعمها مالح، وأتربتها تتساقط على دفاترنا وكأنها ذنوب متراكمة، تذهب إلى مكتبك الصدئ لتحمل دفترك، فتشعر بالقلق الأزلي الذي ينتابك وأنت تمشي في دهاليز الحياة الضيقة، ماذا لو أُغلق الشارع الضيقة على الشعراء ليلاً؟ سؤال مستفز، يجعلني أمشي ملاصقًا للطوب الأحمر المتلاصق المتراص المزركش بالرسوم المدهشة، التي أبدعها الليل وأصابع الغرباء.

تمشي وسط هذا العالم معلقًا على حوافه، تنظر لهاتفك: ماذا لو لم يكن معي هذا الهاتف؟ وما فائدته؟ يمثل أملاً، سيتصل بي أو ستتصل بي إحداهن بعد قليل...

ذات مساء كما يقول الأدباء الكبار، رن هاتفي، ففتحت: آلو، إزيك يا عين أعيان مطوبس، أنا عماد.

صوته لا يغيب مهما تراكمت أوراق النتائج فوق بعضها، هذه صوت يحبه الطيبون، ويعرفه هاتفي، لذا يدلني على صاحبه دون عناء، حتى ولو تغيرت الأرقام، مصرية كانت أو غير مصرية، أعرف صوت عماد علي قطري جيدًا... أعرفه لأنه ودود جدًّا لمن يعرفه، يتصل باستمرار للاطمئنان والسؤال، وهذه شيمة قلما وجدت عن شعراء كثر... كان كلما قرأ عن مشكلة تخصني في العمل اتصل ليحدثني عن الصلابة، والقوة، والثبات على الموقف: ما تقلقش، لو عاوز من محامي لعشرة محامين...

أشكرك يا صديقي المحترم على كل هذا الجمال، وأشكر لك اهتمامك الذي لا ينتهي ولا ينقطع، اهتمامك بكل شيء، وبالشعراء كافة، أتذكر... في إحدى المرات كان أحد الشعراء الكبار يمر بأزمة صحية كبيرة وبحاجة ماسة إلى حقن، الحقنة الواحدة تتعدى الخمسة عشر ألف جنيه في ذلك الحين ٢٠١٤ تقريبًا، فوجئت بعماد علي قطري يهاتفني من السعودية: يا سعيد، أنا بعت على اسمك سبعة عشر ألف جنيه عشان حقنة فلان الفلاني، روح بسرعة لبنك كذا واسحبهم وسلمهم لأهله لحد ما أوفر حق الحقنة التانية...

بالفعل ذهبت إلى البنك، وسحبت المبلغ، وتوجهت إلى بيت الشاعر، وأعطيتهم لأهله، وكلمت عماد: كله تمام، ربنا يجعله في ميزان حسناتك أخي وصديقي الرائع... وأعطيته تليفون أسرة الشاعر وتواصل معهم بعد ذلك، وهكذا تستمر الحياة، وتتجمل بوجودهم، هؤلاء حقًّا هم (صناع الأمل) الذين يتعاملون مع العالم بمنطق الود، ومن باب الود، وعلى أمل الود... قلوبهم مليئة بالرحمة، والرحماء يرحمهم الله...

شيّلنا دمع ولسّه بيشيّل
يا موت يا هذا المارد العيّل
هوّن عليك وارجع مكان ما سابوك
كل اللي عندك عمرهم ما أذوك
بالعكس دول في المعركه احترموك
وادوك قلوبهم للسما وآمنوك
واتمنّوا ترجع بيها فاستنوك
فمشيت ولا رجعتش لحد بشيء
وف كل يوم تسرق بريء وتروح
يا وش رايح يا خفيف الروح
قلبك في برواز بكره متعلّق ربيع
عصفور على شجر الكافور واقف وديع
عالم في وقت الضيق وسيع
يطلع إذا شافه الجميع قمرات
ويبص للماشيين من السماوات
..... ويزوّق الجنه
ويحنّي كل اللي اشتهى الجِنّه

صناع الأمل والفرح والسعادة، مشروع عماد علي قطري الكبير، الذي يحتاج إلى مؤرخ يجيد كتابة التفاصيل الدقيقة بحب وبتؤدة وشغف، فهو من بحث عن

المهمشين والمضطهدين والمستبعدين ليسلط عليهم الضوء، ينشر لهم ويستكتب النقاد من أجلهم، ويشير على أعمالهم، ويقيم المسابقات، وكل هذه من جيبه الخاص، لكنه يحب رؤية السعادة على وجوه الآخرين، هو لم يفعل هذا ليقال فعل عماد، وإنما ليقال: صدر ديوان لفلان، نوقش ديوان فلان، فاز فلان، فيفرح فلان لفلان، ويسعى فلان للاحتفاء بفلان، ويكتب فلان عن فلان، فيتحول الفلانيون إلى أسماء رنانة في هذا الوسط الفسيح الرحب/ المقتول بالضيق والعبث والمؤامرات غير محمودة العواقب...

لسه الحياه فيها البنات بسكوت
فيها العيال سكّر نبات مفروط
فيها القمر جوّه الوشوش ملكوت
فابلع لسانك يا عديم اللون
شجرة صحابي ما استوتش يا موت
شجرة صحابي لسه بتخضّر
رغم إن دا مكتوب ومتقدّر
..... إلا إن انا موجوع
وعنيا فيها دموع تكفي غيطان
وش الصديق لما اتهزم يوجع
وشّ الجميله ورا القزاز أوطان
وش اللي خايف يكسر السندان
طالع جعان
.... عريان
..... ماهوش دريان ومش همّه
ولا حد عارف من هنا يلمّه
ولا حد قادر من صحابه عليه
يا ورد لسه القلب رحمه ونور

الدنيا برواز طول ما وشّك فيه
والشمس هتنام طول ما هنقيّل
.....
عاود يا ليل جوه القلوب ليّل
..... **وكفايه توزن هم وتكيّل**
ما اعرفش هو الموت لسانه طويل
.....**واللا الملايكه عمرها قليّل**

من فرط نبله وجمال قلبه ومحبته، كان دائم الاتصال بي وهو في بيت الله الحرام، كلما طاف اتصل بي لأطوف معه على الهاتف، وبعد أن ينتهي يحملني السلام للحاجة فريدة، فأسأله الدعاء لها، رحم الله الجميع...

صدقني يا عماد أود أن أستفيض في الكتابة عن أوجاعك يا صديقي، عن اتصالك بي حينما ضايقك أحدهم وحساسيتك المفرطة، لتخبرني أن هذا الضيق أثر في نفسيتك لدرجة تساقط الشعر في بعض المناطق من رأسك، أود الكتابة أكثر، لأنك تستحق الكثير...

أشكرك لأنك مررت من هنا يا عماد، سنقول كان هنا عماد.. مر برفق ومحبة... وصنع أملاً...

«عماد قطري»

الدينامو

أ. رضـــا الأشـــرم

تعودت مع أخي الشاعر النبيل عماد قطري على أشياء ثابتة ولازمة وحتمية خلال صداقة ومحبة أيام عمرينا.

حينما سافر واعتاد على الحياة فى المملكة كنت متعودا على رسالة ماسينجر منه بها:

- **قصيدة.**
- **أو قصة جديدة.**
- **أو فصل من رواية.**
- **أو مشروع كتاب.**
- **أو فكرة جديدة.**
- **أو نقدا لقصة أرسلتها له.**
- **أو تعديل لعمل أدبى نفكر فيه معا.**

لكن الشهادة لله ..تعاهدنا على أن نقسوا (نقدا) على أعمالنا الأدبية..

كان رحمة الله عليه «دينامو»..

تستطيع أن تنصرف لحياتك العملية والأسرية لكنك حتما ستغير مفردات يومياتك لأجله.

اغرب ما كان يفعله عماد

حين تجد هاتفك يرن.

الرقم جديد وغير مسجل..

- ألو «لكنه صوت عماد».

- إزيك يا عمدة .. أخبارك أنت فين.

- افتح الباب يا عم أنا تحت البيت.

ما إن نجلس حتى تجد شلالا من الأفكار الإبداعية. لا تستطيع ملاحقته ومجاراته.. سيفرض عليك جدول أعمال أيام أجازته المحدودة:

سنزور فلان يوم الثلاثاء.

وهنروح نزور صديقنا فلان علشان مريض.

وهنروح نبارك لفلان علشان فرح بنته ما حضرتوش.

ونروح المنصورة بكرة.

وانا اضحك (كده أنا لغيت مواعيدي الخاصة).

يوم الخميس هنروح القاهرة.

الجمعة هنزور الأستاذ نبيه «الشاعر الكبير الأستاذ نبيه القرشومى» فى صالونه الذى يضم الأساتذة:

- الشاعر الكبير محمد المتولي مسلم.

- والصحفي النابه اشرف الهندي.

- والأديب والناقد عبد الرحيم عبد الهادي.

- والمفكر الفيلسوف المرحوم محمود عبد الرحمن.

- والقصاص المبدع المرحوم نجاتي عبد القادر.

- والقاص المكافح المرحوم حسين البنا..

هكذا كان عماد.....

لكن يظل أهم يوم فى حياتنا معا وتاريخنا المشترك فى النشر والإبداع هو هذا اليوم الغريب ..اغرب ما يحدث لاثنين من (مشاريع الأدباء والشعراء).. شابان يقرآن بنهم ويكتبان بغزارة فى طفرة غريبة.

كنا فى العشرينات، وكنا نحضر أربعائيات نادى أدب أجا، وكان الشاعر الشاب عماد قطري يهدر بقصائد لافتة..

إلى أن مال علينا أحد الأصدقاء هامسا ونحن خارج النادي عقب إحدى الأمسيات:

- ممكن أخد عملين لكما.

- خير ..ناوى ع النشر فين ؟

- بعون الله هنشرهم فى صفحة أدبية مهمة.

هكذا كان الحديث.

وسلمناه.. قصة لي.. وقصيدة لعماد، ونسينا

فقد كنا كأننا نسابق الزمن فى الكتابة..

عماد أصبح شاعرا قديرا.. وأنا بدأت أعانى من التدفق القصصي وتزاحم الأفكار و عناوين الكتب، التى قرأتها وشكلت كياني حتى اليوم، وصلت فى قراءاتى أن أقرأ فى أربعة كتب فى ليلة واحدة، مجموعة قصصية.. رواية.. نقد أدبى.. أو كتاب فى التاريخ أو مجموعة مقالات.

هذا غير قراءة الصحف والمجلات التى لم ندع أي إصدار منها إلا وقرأناه

كانت جريدة الشعب فى التسعينات لمن يعرفها مزاحمة للصحف القومية، كانت صاحبة خبطات صحفية ..علامات فى تاريخ الصحافة، منها.. مثلا.. العنوان الشهير أيامها للأستاذ عادل حسين:

«انزعوا السكين من يد هذا المجنون»

وكان يقصد الوزير زكى بدر وزير الداخلية.. المشهور ببذاءاته، فقد سجل أحد صحفي الشعب لقاء جماهيريا له، وهو يسب ويلعن جميع رموز المعارضة المصرية: «إبراهيم شكري، فؤاد سراج الدين، مصطفى أمين».

لم يدع أحدا إلا وطالته قلة أدبه، فما كان من حسنى مبارك إلا أن أقاله.

هكذا كانت جريدة الشعب ..عناوين سياسية ضخمة فخمة.. وكتابا كبارا، وبدأت فى تخصيص صفحة أدبية يحررها الأديب والشاعر.. محمد القدوسى، (الجريدة كانت تصدر يومي الثلاثاء والجمعة فقط)، وكان هناك خبر فى سطرين ثلاثة مفاده إن الجريدة ستعقد ندوة أدبية فى مقرها بشارع بورسعيد بالسيدة زينب يوم الخميس القادم.

وكالعادة نظر لى عماد.

– ها ...ما رايك ..ما تيجى نروح.

وانا أتعجب لما قاله .. لأنها كانت رغبتى أيضا.

وبالفعل ذهبنا، وكانت الجريدة بمقر الحزب المراقب أمنيا.

فقد لفت نظرنا وقوف عربتى شرطة أمام الحزب علنا ..ونحن طبعا (فايتين فى الحديد) ولا يهمنا، دخلنا على الأستاذ القدوسى ..وجدناه برفقة شعراء وكتاب من جميع محافظات مصر، وزحمة كبيرة فى مكتبه قبل الانتقال لصالة كبيرة ستعقد فيها الندوة، واقتربنا منه نصافحه وعرفناه بأنفسنا، ولكننا فوجئنا برد فعله الغريب

– بتقولوا مين؟! عماد قطري.. ورضا الأشرم؟!.. سبحان الله ثم ضرب كفا بكف مندهشا.. وطلب من الجميع السكوت.. ورفع صوته.

واستمر مشيرا نحونا، الجماعة دول جايين من المنصورة..

وانا والله لا اعرفهما من قبل .. لكن وصلنى منذ أيام عملين لهما. (يقصد القصيدة والقصة اللتين استلمهما منا صديقنا فى نادى أدب أجا). وقررت

نشرهما معا فى عدد بكرة الجمعة.. وليتهما ينتظران الطبعة الأولى قبل أن يعودا للمنصورة، وحضرنا الندوة وألقى عماد قصيدة رائعة.. وقرأت قصة لى..

وبالطبع تعرفنا يومها على جميع الحاضرين الذين أثنوا على عملينا،، وانتظرنا فى رمسيس حتى صدور الطبعة الأولى.

وتستمر مفاجآت اليوم الغريب..

وذهلت للإخراج الصحفي الفخم الذى أعده القدوسى للعملين، كانت قصتي أعلى الصفحة الأخيرة (وما أدراك ما الصفحة الأخيرة) ..مرفقة بلوحة فنية مبدعة ..وكانت قصيدة عماد بجوار مقال الشيخ محمد الغزالي نفسه (هذا ديننا).

فتحنا الصحيفة .

ونظرنا لبعضنا !

- إيه ده يا عماد ؟

- مش عارف يا رضا.. (إحنا فى علم ولا علم).

وكانت أول مرة ننشر على هذا المستوى.

.....

وبدأنا منذ هذا اليوم نسعى وراء حلمنا.. نغالبه ويغالبنا ..نصارعه ويصارعنا.. حتى تعب عماد تعبا سريعا لم يستمر أسبوعين.. ورحل ..وانا حتى اليوم مذهول!

رحمك الله يا عماد

«عماد علي قطري»
«الفارس النبيل»

أ. أشرف بدير

في يوم السابع عشر من ديسمبر ٢٠٢٤م. هاتفني بصوته الهادئ الودود، ودار بيننا حوار طويل ينبض بالود، التقت فيه أفكارنا، واتحدت به إرادتنا، واتفقنا على تعاون في الفترة المقبلة، بين مؤسسته الثقافية التي تخدم المبدعين، وبين مؤسسة أشرف بدير الأدبية، التي تهدف للغرض ذاته.

كنت سعيدًا بهذا الحديث المفعم بالمشاعر الطيبة، مع هذا الفارس النبيل، الذي نثر المحبة على كل من حوله، وصنع البهجة للجميع.

وانتهى الحوار بيننا بدعوتي له لحضور احتفال مسابقة أشرف بدير الأدبية باليوم العالمي للغة العربية، المحدد بعد يومين في التاسع عشر من ديسمبر، رحب كثيرًا بالحضور إلى المنصورة بلده التي غاب عنها لبعض الوقت،

وعد بالحضور وأوفى بوعده، وجاء في الموعد مبكرًا، تصافحنا بحرارة وتعانقنا بدفء، وتحدثنا قليلًا بود، والتقطنا بعض الصور معًا. مع الأصدقاء الحاضرين، بشرفة مكتبة مصر العامة، أمام صفحة نيل المنصورة الجميل،

ثم بدأنا الأمسية، وقدمته بحب ليلقي نصًا شعريًا، فألقى قصيدته الرائعة "العابرون" وبعد الحفل غادر المنصورة، بعد أن ودعنا وودعها بمحبة طاغية. ثم سافر للأراضي المقدسة،

ثم لقي ربه طاهر النفس، نقي القلب، يحمل محبتي الغامرة، ويحمل حب الجميع له؛ إنه الفارس النبيل عماد علي قطري.

دراسات نقدية

الاتجاه الوجداني
في شعر « عماد علي قطري»
موضوعاته وقضاياه الفنية

د. عمرو جابر عبد العظيم

محافظة الدقهلية تنتمي إلى إقليم الدلتا، وهو عبارة عن خمس محافظات: المنوفية، والدقهلية، ودمياط، وكفر الشيخ، والغربية. وعلى ما جاء في الجدول السابق يكون أكثر من نصف شعراء الوجدان في مصر من أبناء هذا الإقليم، وأكثر من ثلثهم من أبناء محافظة الدقهلية وحدها!

وثمة علاقة وكيدة بين دماثة الطبيعة ورقة الشعور، فهؤلاء الشعراء أقبلوا على الأدب العربي من سهول خصيبة، تمثل ثلث مساحة مصر الخضراء[1]، والنيل يغمرها من كل مكان، وأسراب الطيور تغرد فوق أغصان النخيل، وحقول القمح والذرة والأرزِ على امتداد البصر، والدقهلية صاحبة القِدْحِ المُعَلَّى من كل هذه المظاهر الطبيعية[2]، «وللبقاع تأثير في الطباع، والعِرق كما قيل لمغرسه نَزَّاع، ومَن كان جارَ الرياض؛ لبِس طبعُه بُردَ نسيمها الفَضفاض، كما لبس النهرُ الجاري درعَ النسيم الساري»[3]، والقصة المنسوبة إلى علي بن الجهم مع المتوكل العباسي مشهورة في كتب الأدب، فعندما غيَّر الخليفةُ دارَ الشاعرِ من البادية إلى جسر دجلة؛ امتثل تعبير الشاعر لطبيعة البيئة الجديدة، فلان وطاب.

ومن وحي الطبيعة أنشد شعراء الوجدان من أبناء الدقهلية ومن مركز الشاعر عددًا جزيلا من القصائد، نحو قصيدة (عندما يأتي المساء) لمحمود أبو الوفا، وهي ذائعة الصيت؛ بسبب دخولها إلى فن الغناء على يد الموسيقار محمد عبد الوهاب[4]:

عنـــــدما يـــــأتي المســـــاءْ ونجـــــومُ الليـــــل تُنْثَـــــرْ
اســـألوا لي الليـــل عـــن نجْـــ ـــمي متـــى نجمـــيَ يَظهَـــرْ؟
عنـــــدما تبـــــدو النجـــــومْ في الســـما مثـــلَ الـــلآلي
اســـألوا: هـــل مـــن حبيـــبٍ عنـــــده علـــم بحـــالي؟
كـــل نجـــم راح في الليْـــ ـــل بـــنجم يَتَنَـــوَّرْ
غـــيرَ قلبـــي، فهْـــو مـــا زا ل عـــلى الأفْـــق مُحَـــيَّرْ
يـــا حبيبـــي، لـــكَ رُوحـــي لـــك مـــا شـــئتَ وأكثَـــرْ
إنَّ روحـــي خـــير أفْـــقٍ فيـــه أنـــوارك تَظهَـــرْ
كلـــما وَجَّهـــتُ عينِـــي نحـــو لَمَّـــاح المُحَيَّـــا
لم أجـــدْ في الأفْـــق نجـــمًا واحـــدًا يرنـــو إليَّـــا
هـــل تُـــرَى يـــا ليـــل أحظَـــى منـــك بـــالعطف عليَّـــا؟
فـــأغَنِّي .. وحبيبـــي والمُنَـــى بـــين يـــديَّا

ونحوَ قصيدة (قُمْرِيَّة الروضة) لمختار الوكيل[٥]:

إيـــهِ قُمْرِيَّتـــي الحبيبـــةَ، غَنِّـــي وأطِـــيلي، ففـــي الغنـــاءِ العـــزاءُ
واسبحي مـا أردتِ في الجـوِّ، فالليْـ ـــلةُ يـــا أختُ ليلـــةٌ قمـــراءُ
والهـــلالُ الـــذي عَهِـــدتِ قـــديمًا هـــو بـــدر، ونـــورُهُ وضَّـــاءُ
صـــعِد العـــرشَ كالمَلِيـــكِ، فـــرِفِّي حولـــه، واســـجعي، يَـــتمَّ الصـــفاءُ
باركيـــه بلحنـــك الخـــالصِ العـــذْ بِ، فيَـــدْوِي بـــما شـــدوتِ الفضـــاءُ
لســـتُ بالحاســـد المُلَـــوَّثِ بالحقْـ ـــدِ، ولا خـــالَطَ الفـــؤادَ الريـــاءُ
بـــل أنـــا شـــاعر هـــداني إلى الحـــقِّ جَمـــالٌ عاينتُـــهُ وبهـــاءُ
خيرُ مَن يَكشِفُ الخَبِـيءَ مِـن الحُسْـ ـــنِ ويُعْـــلِي مِـــن شـــأنِهِ الشـــعراءُ

ونحو ذَيْنِكَ الشاعرين استغرق في الطبيعة شاعر الدراسة، عماد علي قطري، وارتكز على عناصرها في الإعراب عن ذات صدره. أَبْكَرَ الشاعر إلى الحقل، واستمع إلى موسيقى السواقي والطيور، وعَلَّتْ رئتاه أنفاسَ النيل والزهور، وانبثَّت عيناه في مروج القمح والقطن والذرة ورياضِ الخَوْخ والعنب والبرتقال،

وخالطتْ يداه ثرى الأرض وحبَّ الحصيد، وسبح في النهر الخالد، وتسلق الأشجار والنخيل.

تقع قرية الشاعر (شُبْرَاوِيش) على ساحل النيل الشرقي بمركز أجا من محافظة الدقهلية، وتحوز شاطئًا مُتَراجِبًا من فرعه الرئيسِ إلى دمياط. ويَغْنَى هذا الشاطئ بأشجار التوت والكافور، ويسكر بحدائق المَوْز والكروم، ويمرح بأغاني الرعاة والحَسَاسِين، وعلى صفحة الماء تَهَادَى قواربُ الصيادين. وهاتِهِ خريطةٌ لمركز أجا، تبرز الموقع الفريد لقرية الشاعر على نهر النيل:

مركز ومدينة أجا

وقد أتى الشاعر على ذكرها عدة مرات في أعماله، نحو قوله للأديب علي الغريب:

يا أيها الصوت الشجي كما المساء بقريتي
تلك التي ترتاح في الدلتا وراء الأنجمِ..[٦].

ونحو قوله عن نفسه:

غاب الغريبُ
فلا بِشبراويشَ
تذكره الدروبُ
ولا المساءات الشجيةُ
والمطرْ[٧].

خَفَقَتْ مهجة الشاعر في محفِل الطبيعة العذراء، واختلجت خواطر التعبير على المِهَاد الأخضر الوثير، وتناولت فطرةُ الموهبة عطاءَ السماء، فغَمَرتْ قصائدَ البحث مغاني الريف النضير. على مدار أعمال الشاعر انهمرت كائنات الطبيعة انهارا، واتخذ الشاعر منها عناوين لبعض الدواوين، واكْتَمَى وراءها يبث شَكَاته ورجاءَه، ووشَجَها بسائر أغراضه الشعرية.

وعناصر الطبيعة في شعر قطري جزيلةُ العدد، مختلفةُ البيئات؛ فالشاعر رَبَا في دلتا النيل وتعلم، وعمل في سيناءَ والحجازِ وأَثْوَى. ويُسَلْسِل الباحثُ فيما يلي من صفحات الفصل أبرزَ العناصر الفاعلةِ في وجدان الشاعر، مع ضرب الأمثلة عليها وتحليلها، وذلك على أربعة مباحث: المبحث الأول- الدلتا، المبحث الثاني- النيل، المبحث الثالث- النخيل، المبحث الرابع- النوْرس.

وقد أعلن الشاعر أن الدلتا أغنيةٌ في شفتيه من يوم مولده:

وألقاني الفتى النيليَّ
مولودا وفي شفتيَّ أغنيَةٌ
عن الدلتا
عن الأقمارِ
والريحانِ
والوادي(٨).

تفوح في هذا المثال رُوحُ الحرية والانطلاقِ التي عُرف بها الوجدانيون من الشعراء، وفيه الإعلان عن ميلاد شاعر صاحبِ رسالة، وهي إذاعة الحسن في الوجود، ومباركةُ أهل الجمال، «فالشاعر الوجداني يعتقد أنه صاحب رسالة تقوم على مُثُلٍ عليا من الأخلاق والسلوك، لا سبيل إلى سعادة المجتمع الإنساني بدونها، وهو مدفوع إلى بلاغ هذه الرسالة بما يحس في وجدانه من وجود روحي يحن إلى عالمه الروحي القديم ويسمو به على شهوات الحياة الدنيا وأطماعها، ويفتح عينيه على ما في حياة الناس حوله من انعدام المحبة والتعاطف، والسعي

وراء المال والجاه، وعلى ما في مجتمعه من مآسي الفقر والظلم ومظاهر الدمامة»[٩].
يقول قطري:

والقمح في نبل الديار يضمنا
ويريح دلتا الحسنِ
في وادي الجمالِ
ويحتفي بالوجدِ
في عمق النماءْ[١٠].

ويقول:

فإن القلب في ظمأٍ
إلى نيلٍ
إلى الدلتا
إلى الأنسام تجمعنا
إلى الخصبِ[١١].

وفي هذا المثال الأخير إقبال على الطبيعة وتعلُّقٌ بها؛ فالوجدانيون «في تطلعهم إلى الحرية يفرون من أنفسهم ومجتمعهم إلى الطبيعة، ويجدون في صفائها وجمالها ورحابتها ما يفتقدونه في حياتهم الباطنية الحافلة بالصراع، وفي حياتهم الاجتماعية المليئة بالتناقض، ويتخذون من بعض مشاهدها وأحيائها رموزا لمعاني الحرية الشاعرية والانطلاق البريء»[١٢]، «وهذه النشوة بين أحضان الطبيعة هي طابع الرومانتيكيين جميعا، وذلك أن مبادئهم حب الخلوة واعتزال الناس؛ لأن المجتمعات مباءة، ومثار للمشكلات، وعبء على ذوي النفوس الرقيقة الشعور»[١٣]، «وكان حب الطبيعة والهيام بها عند وردز ورث – كما هو عند الرومانتيكيين عامة – ينبوعَ الشعر الحق ومصدرَ الحياة الخُلُقية الصحيحة. وبفضل تأمله الدائم في الطبيعة، وملاحظته الدقيقة للحياة الريفية؛ نفَذ أدبه في صميم هذه الحياة، فصوَّر مناظرها المختلفة في قوة وصدق، فكان يظل الساعاتِ الطوالَ يحلُم بين مناظرها ويتفهم أسرار جمالها»[١٤].

والدلتا هبة النيل وإحدى أياديه، وكما خلقها الله على جانبيه، ذكرها الشاعر أينما ذكر النيل، نحو ظمئه إلى جمال الطبيعة في المثال السابق، وظمئه إلى جمال حبيبته في المثال التالي، حيث يذرف الأشواق الحامية من وراء لثام، هو عناصر الطبيعة:

ظمئي عتيدٌ
واشتياقي جارفٌ
فاروي بحبٍّ
واغمري كل الجذورِ
وعاودي
ثم افتحي للنهر دلتا
من نبوءات الخصوبة والمطرْ[١٥].

ويتواتر ظمأ الشاعر إلى الحبيبة فيقول:

وأنتِ خصوبة الدلتا
ونهر الشوق في ظمأٍ
إلى شط يهدهدهُ
ويحوي موجه العاتي
ويحملنا إلى القمةْ[١٦].

ويقول:

أنا المحروم من نيل ودلتا
فصُبي العطر أصنافًا
وهيا
فإني ظامئ أضناه شوقٌ
ويرجو الوصل طوفانًا
فيمحو
صنوف الآه من قلب الأنينِ[١٧].

ويصل الشاعر إلى ذروة التعبير الرمزي عن ظمئه إذ يتوارى خلف ستار من عناصر الطبيعة، يُملي عليه ما غار في وجدانه وتوقَّى مكاشفة القارئ به؛ ليحمل عنه هذا الستارُ عبءَ التعبير عما في الضمير. يقول قطري:

وقالت تمتعْ
وخذني لنهر جموح هصورٍ
يحن اشتياقًا
لدلتا الأماني
فإني اشتهيت النقاء المصفى
ودفء الحليبْ[١٨].

جزء من رسالة الدكتوراه

التي حصل بها الباحث على درجة الدكتوراه

من كلية الآداب – جامعة المنصورة – قسم اللغة العربية

الهوامش:

١. انظر: المخطط الاستراتيجي للتنمية العمرانية لإقليم الدلتا، الهيئة العامة للتخطيط العمراني، الموقع الرسمي: https://2u.pw/IqoPfxyq
٢. السابق نفسه.
٣. شهاب الدين الخفاجي: ريحانة الأَلِبَّا وزهرةُ الحياة الدنيا، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧ م، ط ١، ص ٢٣٢.
٤. محمود أبو الوفا (دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه)، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، ٢٠٠٩ م، د.ط، ص ٨٢ – ٨٣. [من مجزوء الرمل].
٥. مختار الوكيل: قصيدة (قمرية الروضة)، مجلة أبولو، العدد الثاني، المجلد الثاني، أكتوبر ١٩٣٣ م، ص ١١٧. [من الخفيف].
٦. عماد علي قطري: قصيدة (زبرجدة)، ديوان (عشر نساء يجئن خلف العاصفة)، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات – القاهرة، ٢٠٠٩ م، ط ١، ص ١٢٧ – ١٢٨. [من الكامل] ويحافظ الباحث على علامات الترقيم كما وردت في طبعات الدواوين.
٧. عماد علي قطري: قصيدة (مرثية لولد يضيع)، ديوان (يا نيل)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، ١٩٩٨ م، د.ط، ص ٤٩ – ٥٠. [من الكامل].
٨. عماد علي قطري: قصيدة (ومتكئا على جرحين)، ديوان (حزنا يبوح البنفسج)، دار هيباتيا للنشر – إدفو، ٢٠١٤ م، ط ١، ص ٢٤. [من الوافر]
٩. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص ٢٨٢.
١٠. قصيدة (تعويذة حب لوجه وطن)، ديوان (حزنا يبوح البنفسج)، ص ٦٤. [من الكامل]
١١. عماد علي قطري: قصيدة (أحبكِ)، ديوان (لعينيكِ أشدو)، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات – القاهرة، ٢٠١١ م، ط ١، ص ٧٩. [من الوافر]
١٢. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص ٢٩٩ – ٣٠٠.
١٣. الرومانتيكية، ص ١٥٣.
١٤. الرومانتيكية، ص ١٥٥.
١٥. عماد علي قطري: قصيدة (فراديس لبحرها البعيد .. تجليات الرضا)، ديوان (لها)، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات – القاهرة، ٢٠١٣ م، ط ١، ص ٢٥. [من الكامل]
١٦. قصيدة (وأنت الوردة الأسنى)، ديوان (لها)، ص ٤٢. [من الوافر]
١٧. عماد علي قطري: قصيدة (صمت العبير)، ديوان (وقائع من دوحة العشق)، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات – القاهرة، ٢٠١٢ م، ط ١، ص ٨. [من الوافر]

الأيْديُولُوجيَا
اَنْسِجَامُ الخِطَابِ السَّرْدِيِّ التَّأمُّلِيِّ
قصيدة (الغواة) للشاعر الراحل : «عماد قطري»

أ. عمــرو العنتبلي

يستحق عماد قطري أن يُقرأ بوصفه شاعرًا أعاد للقصيدة العربية قدرتها على التحريض العاطفي العميق دون فقدان فنيتها، حيث يصبح السؤال أكثر حضورًا من الجواب، والدم أكثر صدقًا من النشيد.

في قصيدته "الغُواة" يقدّم الشاعر الراحل عماد قطري نصًا مركّبًا ينهض على جدلية الغياب والمقاومة، الحزن والفعل، الغناء والنزف. إن القصيدة ليست بكاءً على وطنٍ مستباح، بل سرد شعري مقاوم ينفتح على المشهد الفلسطيني والعربي برؤية تتجاوز المحلي إلى الإنساني. تتقاطع فيها الشعرية الحديثة مع روح المرثية الملحمية، حيث تمتزج الذاكرة الفردية بالأمومة الجمعية، والشهادة بالحلم المؤجل. القصيدة تبني خطابها عبر انزياح السرد نحو التأمل فكل حدث سردي يتعقبه سؤال وجودي أو نداء تحريضي لتصبح النصوص أشبه بـ مناحات نبوئية تخبئ في طياتها بذرة انتفاضة جديدة. وتمثل نموذجًا متماهيًا مع الشعرية العربية الحديثة التي تنفتح على الوجدان الجمعي وتعيد صياغة علاقة الشاعر بالتاريخ والمكان والدم والمصير. فهي قصيدة تنتمي إلى الشعرية المقاومة ذات الطابع السردي التأملي حيث تتناوب فيها التجربة الفردية مع الذاكرة الجمعية، وينعقد النص على جدلية الحزن والفعل، النبوءة والخذلان، الأغنية والدم. يؤسس النص بنية خطابية ذات انسياب سردي يقترب من حكاية مرثوية متقطعة تحاول أن تجمع شتات الشهداء والأمهات والأطفال في صورة موشّاة بالفقد والتمرد، ويبرز فيه الرمز المكاني (النيل، العريش، البحيرة)، والرمز الكوني (السماء، الغمام،

الأقحوان)، والرمز الطقسي (النواح، الدفوف، الأغنيات) مما يعكس قدرة الشاعر على تركيب أيديولوجيا القصيدة بوصفها خطابًا مقاومًا يتجاوز الرثاء إلى مساءلة التاريخ.

أولًا: الشعرية وانسجام الخطاب السردي والتأملي:

يُلاحظ في بنية النص أن الشاعر اختار السرد بوصفه حاملًا شعريًا، فالأحداث تتوالى كأنها مشاهد متقطعة: استباحة، غياب، شهداء، أم زفّت ابنها، فتى يغني، نيل يحتضر... لكن هذا السرد لا يستكين للحكاية، بل يتشظى باستمرار إلى تأملات وأسئلة، من قبيل:

«ما الذي سوف يبقى إذا النيل مات؟»

«هل من الحق أن النبوءة لا تنتصر؟»

هذه الأسئلة ليست استفسارات، بل صرخات وعي مهزوم يحاول إعادة التوازن للعالم. وهنا تكمن الشعرية: في هذا التداخل بين الحكي والحلم، بين الواقعة والنبوءة.

النص يتحرك ضمن ثلاث دوائر أساسية:

١. الخطاب السردي حيث تتوالى الأحداث بصيغة الحكي الشعري (استباحوا المساء، أعلنوا أن هذه البلاد استقلت عن الأغنيات، ارتقوا تبة الغدر...).

٢. الخطاب التأملي يتجلى في الأسئلة الوجودية ما الذي سوف يبقى إذا النيل مات؟ هل من الحق أن النبوءة لا تنتصر؟

٣. الخطاب الوجداني المقاوم إذ يعلن النص انحيازه للدم والشهادة والأمومة المقاومة.

هذا التواشج يمنح القصيدة بنية دائرية–مفتوحة؛ تبدأ بالاعتداء والغياب، وتنتهي بنداء للحياة والغناء رغم النزف.

ثانيًا: أيديولوجيا القصيدة من الرثاء إلى المقاومة:

تقوم الأيديولوجيا هنا على رفض الاستسلام وبعث روح المقاومة، إذ يجعل الشاعر الشهادة فعل حياة لا فعل موت كما فى قوله:

«فإني رأيتُ الشهادةَ ألا نموتَ انكسارًا»

حيث يعيد الشاعر صياغة العلاقة بين الغناء والوطن فالأغنية ليست تسلية بل طقسًا لإحياء الذاكرة فالنص يؤسس خطابًا يتجاوز الرثاء التقليدي؛ فالشهادة ليست موتًا، بل رفض الانكسار وهنا تتحول القصيدة إلى أيديولوجيا مقاومة ناعمة، لا ترفع السلاح، لكنها تحرض على الاستمرار، على الغناء لا كترف، بل كطقس حياة. النساء الأرامل، الأطفال، الأمهات، الطيور، النيل، كلها رموز في أيقونغرافيا الفقد الممزوج بالفعل.

ثالثًا: جماليات الصور البلاغية والذهنية:

تتوزع الصور بين المشهدية (العريش، البحيرة، النيل) والرمزية (الأقحوان، الحمام، البنات الحزينات)، مما يمنح النص قدرة على التأويل المتعدد: يمكن قراءته كقصيدة وطنية، أو كبيان ضد موت الأمل في المجتمعات المقهورة. القصيدة تتأسس على صور مركبة تستند إلى:

المفارقة.. (الغناء/ النزيف، الزيت/ الدخان، البنفسج/ الدماء).

التجسيد.. (الرمل يصلي، النبوءة لا تنتصر، الصمت يرغى).

التشخيص المكاني.. (النيل يموت، البحيرة تغرق).

«الغُواةُ الذين استغلوا غيابَ السماءِ / استباحوا المساء»

تتجلي الصورة التجسيدية فالسماء تغيب، والغُواة يستبيحون الليل، وترمز إلى الخيانة في زمن انطفاء الرعاية الإلهية.

«أعلنوا أن هذه البلادَ استقلَّتْ عن الأغنياتْ»

تلك صورة رمزية تعبر عن الاستقلال عن الأغنيات وهى رمز لانقطاع الفرح الوطني.

«أنَّ لحنَ الهوَى يرتوِي من دماءِ البنفسجِ»

مفارقة تصويرية فالبنفسج رمز الرقة، دمه يغذي لحن الهوى أي أن الحب يتغذى على الألم.

«وحدَهُ الرَّملُ في وجهِنا يستطيعُ التدثرَ بالغائِبِينْ»

وهنا استعارة فالرمل يتدثر بالغائبين، كأن الأرض تلتحف الشهداء.

«وحدَهُ الرملُ صلَّى حزينًا على وجهِ أمٍّ تَزِفُ الشهيدْ»

وهنا تتجلى الصورة الطقسية فالرمل يصلي، والأم تزف الشهيد، إنه طقس يجمع الفقد والقداسة.

«لم يكنْ بينَهُم عازفٌ يحفظُ اللحنَ أو يفتدي صُحبةَ الفجرِ منْ ثَرثراتِ الهُراءْ»

كناية عن غياب المنقذ أو المبدع الحقيقي، الفجر أسير الثرثرة.

«يا دَمِي أيها المُحتمِي بالدروبِ العصيةِ و الأقحوانْ»

وهنا تشخيص الدم ورفعه لمقام المحارب، مع رمز الأقحوان للشهادة.

«ما الذي أبلغَ الزيتَ في سهلِنا أن نارَ العريشِ استحالتْ دُخَانًا يَبيعُ الكفنْ؟»

السؤال يختلط بالصورة فالزيت الذى هو رمز البركة يتحول إلى تجارة موت.

«ما الذي سوفَ يبقَى إذا النيلُ ماتْ؟»

الصورة الشعرية هنا كبرى النيل يموت = موت الأمة.

«لا تسُدّي بوجهِ الرفاقِ الطريقْ... »

تلك صورة مشهدية فالأم حارسة الطريق تمنح الحزن طابع المقاومة.

«لا تنوحي مع النائحينَ الحيارَى فما نَوْحُ نيلٍ كبوحِ الغريبْ»

المفارقة هنا تظهر جيليه فالحزن الجماعي بلا معنى إن لم يتحول إلى فعل.

«هلْ منَ الحقِّ أنَّ النبوءةَ لا تنتصِرْ؟»

وهنا صورة سؤال وجودي وهو النبوءة المهزومة.

«أن دمعَ الصغارِ المخضبَ بالأمنياتِ المحالةِ أمسَى طريقًا يخونُ البداوةَ يَسبي المُدنْ»

صورة مأساوية بعد أن أصبح الدمع طريق للخيانة، وأصبحت المدن مسلوبة.

«كلُّ شيءٍ هنا غارقٌ في الجُنونْ مثلما يُستباحُ الصباحُ... »

الصورة هنا كابوسية فالصباح مستباح، مع اختلاط الزمن والجنون.

«وجهُكم لا يروقُ لهذا الوطنْ»

وهنا خطاب المواجهة فالوطن يتحدث.

«الجنودُ الضفادعُ لم يعثرُوا أو يقولوا حَجبْنا عنِ الأمِّ سِرَّ السَّماءْ»

صورة هنا تهكمية فالجنود ضفادع، والسماء سرٌّ محجوب.

«وحدَها البنتُ غنّتْ بوجهِ الغَضَبْ والطيورُ... اسْتحالتْ غَمامًا و وَردًا و ماءْ»

تتجلي الصورة خلاصية هنا فالغناء يحوّل الألم إلى غمام وورد وماء.

«كلُّهم يا فتَى يرحَلُونْ... غيرَ أنَّ النساءَ الأراملَ في قريتي لا يُرِدْنَ الغِناءْ»

المفارقة فالحياة تستمر بالغناء لكن الحزن يمنعه.

«لا تقولِي شهيدٌ فإني رأيتُ الشهادةَ ألا نَموتَ انكسارًا بوجهِ الوطَنْ»

يأتينا الشاعر هنا بتعريف جديد للشهادة فالصمود هو الخلود.

رابعا: البنية النفسية والذهنية في القصيدة:

إن قصيدة الغواة للشاعر الراحل عماد قطري تنطلق من رؤية مأساوية تعكس الألم الجمعي الذي يعانيه الوطن وأبناؤه. ينقل الشاعر عبرها صرخة احتجاج ضد الظلم والقهر. فالبنية النفسية عنده مشحونة بالحزن والانكسار، لكنها لا تخلو من التحدي والمقاومة. وفي كل مقطع من مقاطع القصيدة نجد أن الشاعر يتأرجح بين اليأس والأمل، بين فقدان الأحبة والتمسك بالأرض. فالمشاعر عنده تتراوح بين الحزن (بكاء الأم، النحيب، ارتقاء الشهداء) والغضب (الهجوم على الغُواة والخونة) مما يخلق توازنًا بين الانفعال والوعي بالمأساة.

خامسًا: الأيديولوجيا والبعد الفكري:

القصيدة تنتمي إلى أدب المقاومة، حيث تحمل رؤية سياسية واضحة تندد بالخيانة وتفضح الطغاة.

الذين «استغلوا غياب السماء» لاستباحة الأرض والدماء.

يستحضر عماد قطري رموزًا وطنية ودينية مثل :

«النبوءة»، «الدم»، «الشهادة»، «السماء»، و«الوطن».

ليؤكد أن الصراع ليس مجرد معركة مادية، بل معركة وجودية ضد الطغيان والخيانة. الأيديولوجية عند عماد قطري تتمثل في التمسك بالوطن والدفاع عنه بالدماء، مع رفض الهزيمة والانكسار النفسي.

سادسًا: الصور الجمالية والدلالية في القصيدة:

القصيدة مليئة بالصور البلاغية التي تعكس عمق الرؤية الشعرية:

الاستعارات:

- «**لحن الهوى يرتوي من دماء البنفسج**»، وهنا تصوير للمأساة بطريقة تجمع بين الجمال (البنفسج) والموت (الدم).
- «**ما الذي أبلغ الزيتَ أن نار العريش استحالت دخانًا يبيع الكفن؟**»، وهو تجسيد لفقدان الأمل وتحول المقاومة إلى سوق للموت.

الكناية:

- «**الغُواة الذين استغلوا غياب السماء**»، كناية عن الطغاة والخونة الذين استغلوا غياب العدل.

التشبيه:

- «**تدلّى وحيدًا كحزن اليمام**»، تشبيه يُبرز الحزن والوحشة التي تحيط بالشهداء.

الرمزية:

- «**الزيت**»، «**النخيل**»، «**النبوءة**»، «**النيل**» ← رموز تُحيل إلى الأرض والوطن والهوية.

الأسلوب والنسق اللغوي:

إن اللغة في القصيدة تعتمد على جمل قصيرة مؤثرة، تُحدث وقعًا قويًا في النفس، مما يعكس الأسلوب الشعري الحديث الذي يمزج بين المباشرة والرؤى التأملية. ويعتمد الشاعر عماد قطري على أسلوب النداء والاستفهام الاستنكاري مثل:

«ما الذي سوف يبقى إذا النيل مات؟»

«هل من الحق أن النبوءة لا تنتصر؟»

النسق اللغوي عند شاعرنا متدرج بين الخطاب السردي والتأملي، حيث يبدأ بوصف الوضع القائم ثم يتصاعد في نبرة احتجاجية وانفعالية قبل أن يصل إلى نغمة أكثر هدوءًا وتأملًا في النهاية.

سابعًا: البنية الدرامية والسيميائية:

إن البنية الدرامية للقصيدة تقوم على تصاعد الصراع بين الوطن والشهداء من جهة، والغزاة والخونة من جهة أخرى. أما الحركة السيميائية تتجلى في تكرار صور الدم، الوطن، النبوءة، والنيل، والتي تعزز من ثنائية الأمل واليأس. فالزمن يبدأ بالماضي المؤلم (استباحوا المساء) ثم يتجه إلى المستقبل المجهول «ما الذي سوف يبقى إذا النيل مات؟». أما المكان يتراوح بين «العريش»، «البحيرة»، و«النيل»، مما يربط القصيدة بجغرافيا الوطن. والرموز الدينية والوطنية تمزج بين البعد الإيماني والبعد السياسي، مثل: «الشهادة»، «الأغنيات»، «السماء». إن قصيدة الغواة ليست مجرد مرثية، بل هي صرخة مقاومة تدعو إلى عدم الاستسلام، حيث ينهي الشاعر قصيدته بفكرة أن الشهادة ليست الموت، بل هي الحياة الحقيقية حين يكون الموت من أجل الوطن. التحدي يظهر جليًا في قوله:

«فإني رأيتُ الشهادةَ ألا نموتَ انكسارًا بوجه الوطن».

بهذا لا يقدم عماد قطري مجرد تصوير للمأساة، بل يُعيد صياغة مفهوم الشهادة كحالة من البقاء الأبدي في قلب الوطن، ما يجعل القصيدة عملًا فنيًا يجمع بين الجمال الشعري والقوة الفكرية. إن هذه القصيدة تتمفصل بين الرثاء والتحريض، فهي ليست نشيدًا للبكاء بل محاولة لصناعة أيديولوجيا الصمود الجمالي حيث يتحول الحزن إلى غناء، والشهادة إلى فعل حياة، والأم إلى أيقونة مقدسة. الصور البلاغية تمزج بين المشهدية السينمائية (العريش، البحيرة، النيل) والرموز الدينية والطقسية (السماء، الصلاة، النبوءة) مما يضفي عليها بعدًا كونيًا وإنسانيًا. إنها نصٌّ تأبيني تحريضي، يفضح الخيانة والغواية باسم الحرية، ويرسم ملامح وطن لا يزال يبحث عن صوته بين الدم والأغنية. إنها شعرية تقوم على التمزق الجميل بين المرثية والمقاومة، الماضي والأسطورة، الحاضر والنبوءة.

الشاعر الكبير «عماد قطري»
الإنسان، و«صانع البهجة»
والمعجون بماء المحبة

د. سليمان جادو شعيب

مِن الشخصيات الأدبية البارزة التي حظيت بكل تقدير واعتزاز وإكبار في حياتنا الثقافية المعاصر، الشاعر الراحل المبدع القدير عماد قطري، الذي تميزت شخصيته بشهادة الجميع، بالروح النقية، والقلب الطيب ورحابة الصدر والسماحة، وحب الآخرين، فهو شخصية اجتماعية تسعى دائمًا إلى تقديم العون والمساعدة للآخرين، ويعد نموذجًا رائعًا يحتذى به لشبابنا المعاصر، فهو يمثل القيم الإنسانية النبيلة، والأخلاق الحميدة التي يجب أن يتحلى بها كل فرد في المجتمع المصري والعربي.

لقد برز الشاعر الكبير «عماد قطري» في مملكة الشعر، وعرِف بحضوره الإبداعي كواحد من سدنة الشعر وحراس بوابتِه، وجعل مِن قصائده الشعرية وإبداعاته الثرية أكثر حضورًا وتميزًا وتفردًا، وأكثر إمتاعًا على الساحة الأدبية والثقافية، وذات قيمة فنية وحية نابضة؛ لأنها ترتبط بنبض المجتمع والحياة العربية بصفةٍ عامة.

يُعَد الشاعر والقاص والكاتب المسرحي، والمهندس الإنسان، عماد علي قطري، أحدَ فرسان الكلمة، وعاشقَ الأدب النبيل، صاحب الفرح والبهجة والسعادة لكل المبدعين، وواحدًا مِن أبرز الشعراء والأدباء المعاصرين، الذين أسهموا بحظٍ وافر في دعم الحركة الأدبية والثقافية في مصرَ والوطن العربي، فهو الذي استطاع أن يؤسس وينشئ بمفرده «**مركز عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية**»،

لخدمة الثقافة والإبداع، كما أنه أسس وترأس تحرير سلسلة النوارس الثقافية، خلال الفترة من ١٩٨٤ حتى عام ١٩٩٠م، وهو الذي عمل مستشارًا ثقافيًا لرابطة الأدباء العرب بالقاهرة، وعضوًا باتحاد كتّاب مصر، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورابطة النورس للأدباء العرب، ونادي الأدب بقصر ثقافة أجا.

ولِد الشاعر «عماد قطري» بقرية شبراويش بمركز أجا التابع للمنصورة بمحافظة الدقهلية، وقد عملَ لفترة طويلة مهندسًا بشركة هندسية بالمملكة العربية السعودية، وخلال تلك الفترة استطاع أن ينشئ مؤسسته الثقافية التنويرية؛ وهي مؤسسة غير ربحية، لدعم الأدباء والشعراء المبدعين ومساندتهم ماديًا ومعنويًا، والعمل على إحداث تنمية ثقافية ونهضة حضارية، والارتقاء بالحركة الأدبية، والنهوض بالثقافة العربية في مصرَ والوطن العربي قاطبة.

ومِن ثم فقدْ وصفه الكثير من الأدباء والنقاد الكبار بأنه صانع الفرح والبهجة للمبدعين والكتّاب الناشئين، وأصحاب المواهب الشابة، ولذا فهو صاحب المبادرات الثقافية الرائعة، وصاحب الأيادي البيضاء على كثير من أبناء هذا الوطن بما قدمه لهم من خدماتٍ وإسهامات ثقافية جليلة، ومتميزة لأكثر من عشر سنوات، كلّفته أموالاً طائلة من حُر ماله الخاص، متطوعًا في نشر العديد من الكتب والمطبوعات، وإجراء المسابقات الأدبية، وإقامة المؤتمرات والاحتفالات الثقافية التي شهد لها الجميع بالنزاهة والمصداقية والشفافية.

استطاع الشاعر «عماد قطري» أن يثري الحياةَ الثقافية والأدبية في مصرَ والوطن العربي، وأن يترك بصمةً لا تمحى أبدًا في قلوب محبيه وأصدقائه، بما قدمه من دعم حقيقي لاكتشاف المواهب الجديدة، وللحركة الثقافية بصفةٍ عامة من خلالِ دعمِه ونشره لأعمال المبدعين من ماله الخاص عن طريق مسابقات مؤسسته الرائدة، التي كان يخصصها لكافة أنواع الأجناس الأدبية، شعرًا أو نثرًا، كما قدّم الكثير والكثير من المكافآت المالية ــ بسخاءٍ وعن طيب خاطر ــ للمبدعين

المشاركين والفائزين في تلك المسابقات المحكمة، والعمل على طباعة أعمالهم و إنتاجهم وإهدائهم نسخًا منها بلا مقابل.

لقد شارك في الحياة الثقافية، بروحٍ وثّابة، ومشاركةٍ فاعلة حقيقية، فأبدع وأنجز عددًا من المؤلفات الشعرية والأدبية التي أثْرَت المكتبةَ العربية، حيث صدرت له عدة دواوين، نذكر منها: ديوان «عذرًا سراييفو»، ديوان «يا نيل»، ديوان «ما بيننا»، ديوان «العصافير»، ديوان «عشر نساء يجئن خلف العاصفة»، وديوان «بعض ما قالت العارية»، و«تلك الدار»، «ترانيم عشق»، «لعينيك أشدو»، «أغنيات لسيدة المواسم والأبجدية»، «أحِبك»، «مدن البعاد»، «كلمات سبارتاكوس الأخيرة»، «دماء على فجر ليلى»، «وقائع من دوحة العشق»، «سفر في حضرتها»، « لها»، وديوان "ثورة التحرير" أول ديوان عن ثورة ٢٥ يناير. كما أصدر عددًا من الأعمال المسرحية، نذكر منها: مسرحية "المحاكمة" مسرحية شعرية، و«وجع المنافي»، و«وقائع بيع مصر». ولعل مِن أروع قصائده المنشورة، قصيدة: «دمي في رفح.. دمي في أبو زعبل»، وقصيدة أخرى بعنوان: «قالت تصبر١»، و «عيناك مريم يا أنا».

وقد نشِرت أعماله الإبداعية في العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية، مِن بينها: صحائف (أخبار الأدب)، و(الشعب)، و(المساء) المصرية، و(عكاظ)، و(الجزيرة)، و(الرياض)، و(الاقتصادية)، و(اليوم) السعودية، ومجلات: (المجلة العربية)، و(النورس)، (البيان)، (المجتمع)، و(الأسرة)، و(الأدب الإسلامي).

كما قام عدد كبير مِن النقاد المصريين والأشقاء العرب، بتقديم دراسات وقراءات نقدية عن دواوينه الشعرية، نذكر مِن بينهم الدكاترة الأجلاء، حسين علي محمد، نادر أحمد عبد الخالق، خليل أبو دياب، وليد قصاب، أمجد ريان، يسري العزب، رمضان الحضري، صلاح الدين فاروق، وعصام الدين أبو زلال.

كما قَرر الدكتور عصام، ديوان «عشر نساء يجئن خلف العاصفة»، كمقرر دراسي شِعر حديث على طلبة كلية التربية جامعة قناة السويس، فرع العريش.

كما تناول شِعرَه عدد كبير من الأدباء والنقاد الأساتذة الأجلاء، مِن بينهم: محمد ناجي المنشاوي، حاتم عبد الهادي السيد، محمد شلال الحناحنة، حسن غريب، علي الغريب، محمد القدوس، محمود رمضان الطهطاوي، خيرة خلف الله، عاطف الجندي، أحمد خير، محمود حسانين، وصفاء البيلي.

يقول الشاعر عماد في قصيدة له بعنوان: " قالت تصبر".. عيناك مريم يا أنا:

قالت تصبر...
ما درتْ أني أهادنُ دمعتي
وأهادِن الأشجارَ ليلاً
علّها تخبو قليلاً لا تثر
قولي بربّك للغريب
الدارُ ما زالت هنا
وهنا الضفاف
وما تَنزّل من سَحَر
مدّي يدًا
فلربما رغم البعادِ تمسّني
وتحيل صحراءَ الدروبِ إلى مطر

قال عنه صديقه الأديب محمود الطهطاوي: «فكيف أن أمتدِح المحبة في شخص هذا الإنسان المعجون بماء المحبة، وعطر المحبة، ووهج المحبة، بل هو المحبة ذاتها تعيش بين ظهرانينا بتواضعٍ وإنسانية فاقت كل متوقع».

«هو يحمل بداخله نِصف نقاء العالم، ونِصف جمال الكون، ونصف بساطته، وكل همومه، بداخله إنسانٌ خلِق لإسعاد الآخرين، لا يفكر في نفسه على الإطلاق، سعادته الأثيرة أن يرسم ابتسامةً في قلب إنسانٍ قبْل وجهه، يقسو على نفسه كثيرًا من أجل أن يحقق حلم الغير».

وقال عنه الكاتب محمد علي إبراهيم: «**الصديق عماد قطري، كان كلما مَر صديق بكبوة، يذهب ليقضي عنه عمرة، وينفق في الخير بسخاء الأكرمين**».

وقال عنه الناقد والشاعر السيناوي الكبير حاتم عبد الهادي السيد : «**إذا كان المؤرخ الكبير جمال حمدان قد كتب عن «جغرافيا سيناء وتاريخها»، وكتب عنها «كزانتزاكيس» الكاتب والفيلسوف اليوناني، وسار بأرضها «المتنبي»، وكتب قصيدته عن كافور الإخشيدي عبر صحرائها، فإنّ عماد قطري قد سار على رمالها، وهامَ في حبها، ووقف متأملاً وقت الغروب بين البحر والصحراء، يلقي زورقه فيسير مع شمس الغروب إلى بوابات الجمال، فنراه يكتب عنها كراهبٍ في محراب، هذا هو عماد الإنسان، ابن الشعر والنور والخلود، وثيقة حب ندبقها لمحبته**».

وقالت عنه الشاعرة المبدعة همت مصطفى: «**الشاعر الكبير عماد علي قطري لم يكن مجرد اسم في عالم الأدب، بل كان قلبًا نابضًا بالحب، ويدًا ممدودة بالعطاء، صوتًا صادقًا يحمل رسائل الأمل والوطن والإنسانية، كل مَن عرفه شعرَ بدفء روحه قبل أن يستمع إلى كلماته، فكان صديقًا وأخًا ومعينًا لكل محتاج**».

وهكذا، أحَبه وأثنى عليه الجميع، لفرط كرمِه الحاتمي، ودماثة أخلاقه الرفيعة، ومودته الصادقة النبيلة لكل مَن عرفه ولمن لم يعرفه من الأدباء والمثقفين، داخل مصرَ وخارجها، فقد كان جل همّه هو الاعتناء بالمبدعين وبالمواهب الواعدة وصقلها وتهذيبها، والاحتفاء بالمتحقق منهم، واكتشاف المواهب الأصيلة في الوطن العربي، وتقديم الدعم اللازم لها، ورعايتها حق رعايتها بما أفاء الله تعالى عليه من نِعمٍ وآلاء، فلم يلبث أنْ شرع في فتح باب النشر والطبع بلا مقابل للمبدعين الشرفاء الغيورين على خدمة أوطانهم العربية.

وفي صباح يوم الأحد ٩ فبراير ٢٠٢٥م فجأة فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، رحِمه الله تعالى رحمةً واسعة وطيّب ثراه، وقد نعاه العديد من الأدباء والشعراء والمثقفين عبْر وسائل التواصل الاجتماعي، معبّرين عن حزنهم الشديد لرحيله وتقديرهم لإسهاماته الثقافية والأدبية المتميزة.

شذرات من البساتين القطرية
كتبتها في ٢٠ فبراير ٢٠٢٠

أ. إيمـــان بشـــناق

ولم أكن لأنشرها مهابةً لمقام الرجل، وخوفًا من اتهامي بالتملق حتى يطبع لي أو يقدم لي خدمة من خدماته التي أغدق بها الجميع، لكن استفزتني جودة إبداعِه وتميزه على كتابتها، فوجدت هذا الوقت مناسبًا لإظهارها وفاءً لحق هذا الوطنيّ المناضل في وطني

النيلُ بي وأنا الظميّ وما ارتويت
سُلمى على ظمأِ الرمال غريقةٌ
بئرٌ معطلةٌ ونارُ والحَصى
وأنا الحصانُ وما كبوت
آنستُ نارًا في المدى
النارُ لم تكن الهدى
كنتِ الهدايةَ ما غويت
حزنًا أموت
أموتُ لكنْ ما هويْت
أموتُ لكن ..
ما هويت..
«عماد قطري»

لم أكتب سطوري هذه لأتحدث عن شاعرٍ نبيلٍ كان يحمل على عاتقه همّ الأدب والأدباء في مصرَ والعالم العربي فحسب، إنما أتشرف بالكتابة عن وثيقةٍ شعرية من نوعٍ فريد، لا تقِل عن ابتكار موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب في موسيقاه أو عن إبداع يوسف وهبي في مسرحِه، أو إبداع منير في خلق لونٍ فني خاص به،

أو عن كل مختلفٍ له قيمته في مصر الفن والإبداع، منارة العلم والأدب والفن في الشرق..

تلك الوثيقة الشعرية هي التغريبة السيناوية من إبداعات النبيل الأستاذ عماد علي قطري.

قطري راهبٌ مقيم في معبد الفيروز، ينثر تِبر الحب والجمال على رمال صحاريها، ولُجَين التميز والإبداع على صفحة سمائها...

بين أيدينا لوحاتٌ شعرية بها سِمة القصائد القَطْرية ورائحتها.

تَشتمّ فيها عبقَ المجد والتاريخ، والشموخ المتأصل بسيناء الرب القدسية التي أبى أن يتجلى إلا على جبالها، وألا يحدّث كليمَه إلا على أرضها.

معشوقة الشاعر، ورفيقة روحِه الساكنة فيها، المتعلقة كنجفة من الألماس في سمائها الرحبة المباركة، ترقب الأحداثَ من بعيد وترصدها لتؤرخ لأرض مجدٍ آثر اللصوص والحاقدون الحانقون مواراتها عن العيون؛ حتى يعيثوا فيها فسادًا، أو تدميرها وتلطيخ وجه الحسن بأيدي قبحٍ آثمة، وآثر هو أن يحمل نايَه الحزين المغلوب على أمره؛ ليغني لها وحدَها، وينفث حزنَه فيه ويبثّه شكواه، ويُسِرّه بكل ما يحمله من همّ يقتل روحَه ليتحول شهيد عشق تراب تلك البلاد التي أحَبها فلفظته، وشققت روحَه الساكنة فيها رغم سنوات الاغتراب.

يصيح الناي ويغني معه ليُكتب لها خلودًا فوق خلود، ونورًا فوق نور.

بدايةً نجِد سيناء تفرض نفسها في مفردات قصائده بدءًا من الخيمة، النخل، الرمل، التراب، الحصرم، الريح، الشاة، الشيخ، صهد الدروب.. مرورًا بالألفاظ البدوية والعربية (وش تبي)، (أبغي).. إلخ.

ولم يسقط مِن جعبته تلك القلادة التي لم يخلعها في واحدةٍ من قصائده، حبه الأول والسرمدي لشريان حياته الذي بدأ به القصيدَ، وبه ختمها، فهو السر الذي يهبه القدرةَ على المقاومة، ألا وهو النيل بما يحمله من ذكرياتٍ يقتات عليها الشاعر

ليستطيع أن يستكمل مسيرته في شارع العمر الطويل الثقيل، فهو الدواة وهو القلم، وهو الشاعر، وهو الملهم.

النيل وما يحمله من طمي وخير للكون مِن حوله هو رمز العطاء في جل قصائده، دأبه في ذلك دأب معظم شعراء مصر وأبنائها، والذين يعتبر النيل بالنسبة لهم نهر الحياة..

(الطمي، النخل، التيه...)، وكل ما يتعلق بالنيل وما صنعه من مجدٍ وتاريخ وجمال وحضارة، وحتى الألم الذي تَشرّبته حكايا تاريخه التليد يتسرب إلى مفردات القصيدة ليعبّر عن لحظات الظلم والوجع التي يعاني منها أبناء بلدٍ أعطت للعالم كله الخيرَ والسعادة، وشرّدت أبناءها العاشقين لترابها مهما لاقوا من قسوةٍ وأوجاع بها يبتعدون مجبورين، لكنهم مرهونون إلى ترابها، ونيلها، وطميها، ونخلها، وذكرياتها، وأوجاعها. لا يوجعهم شيء قدْر وجعِها، مهما لاقوا من خيرٍ خارجها فهي في نظرهم الخير كل الخير، والجمال كل الجمال.

نجد مفردات مثل (التشرد، المسافات، الشريدة، الخطى، الوجع...) تنمّ عن أسىً يحمله قلبٌ منهَك مهمومٌ بأوطانه، رغم ما لاقاه منها، لا يحمل لها إلا كل عشقٍ وإجلال، وحنين وأملٍ في الصلاح الذي هو في نظره ونظرهم المهدي المنتظر.

التناص القرآني المصاحِب أشعاره لا ينفك يظهر بقوةٍ ليثمّن القصيدة، ويجلل هامتها

(ما كذب الفؤاد)

(والتين والزيتون)

(حبل الوريد).. إلخ.

ناهيك بالموروثات من الألفاظ والقصص الديني والمرجعيات الدينية عامة التي تزخم بها القصيدة خاصة، وشِعر قطْري عامة، نظرًا لنزعةٍ دينية بداخله هي

خصيصة مِن خصائص الشعب المصري الذي ينتمي إليه، أو قد تكون لقربِه سنواتٍ طويلة من الأرض المباركة التي أقحمته في عالم الروحانيات، تلك المفردات مثل (الرسول ـ النبي ـ الوحي ـ الخطيئة ـ يوم الحساب ـ المتاب ـ العنعنة ـ فاصطبر ـ استوت ـ الحسن ـ الحسين ـ يزيد.).

فضلًا عن (أمّ معبد) رمز الحكمة والبلاغة والفصاحة، أميرة الوصف التي وصفت له الطريق وأسراره بكل حكمةٍ وحذر من الشيخ والأمير والشاويش الذين هُم هاجس الشاعر وهاجس شعب وطنه الذين يشاطرهم قهرَهم وحرمانهم وأوجاعهم عبْر العصور، رغم البعد عنهم وعن أحوالهم، إلا أنه يشعر بهم وكأنه أكثرهم فقرًا وألمًا وحرمانًا وإحباطًا، وكأنه ـ بل إنه ـ يعتبر نفسَه بالفعل أحد شهدائهم الذين فَقدوا أرواحهم هناك، وأريقت دمهم على ترابها، فأطلقوا تلك الأرواح المباركة على حدودها ليكون الشهيدُ شهيدًا على الخلود، وشهيدًا على الظلم والقهر والغدر الذين يبسطون أيديهم على جسد تلك الأرض، ينهشون لحمها المطهر، ويسفكون دمها المبارك على مَر العصور...).

مفردات التغريبة خاصةً تجعلك تتقلب في حكي التاريخ بكل أثوابه وفصوله، ونوادره وحِكمِه.. لا نغفل الصورَ المركّبة والممتدة التي يختال بها النص، فلنتأمل ذلك المقطع:

ما بحر العريش سوى دمي
ودمي عريشُ ابنِ السبيل
والنخلُ قالت جدّتي
كان الشهيدُ على الشهيد
سفرُ الجريدِ مخلّدٌ..

إنه جمالٌ على جمال يسحبنا إلى الغرق في بحرٍ من الخيال الراقي المدهش، كما يدهشنا بتساؤلاتٍ متواترة في بعض الأحايين، مثل تساؤله الحائر الذي يوجهه إلى (يزيد) رمز الغدر والخيانة والمجون والقتل والإرهاب.

إلى متى؟! سؤال ما زال ينتظر الإجابة.

ولم تأتِ الإجابة إلا من الشهيد سيد الشهداء؛ ليكشف لنا سرًا، ويتركنا غارقين في تأمل الإجابة التي مَردّها أيضًا عند سر الحياة.. سر الحدوتة، وكل الحواديت (النيل)!

لحفن

لحفن.. نص يأخذنا مِن وجعٍ إلى وجع، ويقفز بنا من دهشةٍ إلى دهشة، ويزاوج الألمَ بالأمل، وقبح الحدثِ بجمال الصورة، والحسرة واللوعة بحلاوة الإبداع.

نص لا يوصف إلا بالصادق المدهش!

ولم ينسَ الشاعر، كما عوّد قراءه ــ أن يترك لهم في طيات كل نص ما يثري ذاكرتَهم التاريخية، ويذيّل نصه بتفسير لبعض المفردات التي تخبر عن عادات الشعوب وتقاليدها، لدى معشوقته مصر.

فكان قطْري بذلك كله نيلًا يمد دلتا الأدب، في العالم العربي، بالخصب والجمال

وما يزال الرمل والنيل هما مفتاح القاموس

ومصر هي بيت القصيد عند النبيل القطْري

يقول الشاعر في (لحفن) ــ وهي بحسب ما نوّه الشاعر عنها ــ قريةٌ صغيرة جنوب العريش، بها بئر لحفن، وقعت بها معركة بئر لحفن في صباح ٦ يونيو ١٩٦٧م وفيها انتصر الصهاينة:

"لحفن" هو النص الأول مِن خماسية العريش في التغريبة السيناوية.

يا لحفنَ الصبرِ المعتّق ما الذي جعل المرارَ
على الرمالِ بلا قرار
مَن ذا سيصرخ في المدى لله
للأوطانِ تقتلِع المَرار
تعبتْ عظامُ الصابرين من الرضا

الصبر ما فتحَ الفرَج.

ترى الشاعرَ هنا يربط تاريخ مصر بحاضرها، أو كأنك تراه يعرِض الحاضرَ الكئيب في دثار الماضي القاسي، حينما يصف مشاعر الناس بالصبر المعتق عبر السنين الطوال، والذي ولّد الغصةَ والمرار في كل الحلوق سابقًا ولاحقًا، والتي شبعت من الصبر وتعبت من الرضا -وهي أيضًا خصيصة من خصائص الشعب المصري على مدار تاريخِه- بغير حولٍ لها ولا قوة، ويا ليتها نالت فرَجًا؛ ذلك مع استدعاء المقولة الشهيرة (الصبر مفتاح الفرَج) والتي زادت المقطعَ قوةً على قوته.. فهو يقول إنّ الصبر لم يأتِ بالفرَج، ولم يفتح الأبوابَ المغلقة

في النهاية لا نملك إلا أن نشهد لتلك المعزوفات المنفردة (التغريبة السيناوية)، (سيمفونية الوجع) بأنها درّات عقدٍ يكمل بعضها بعضًا

وإنّ قطْري راهبٌ مقيم في معبد الفيروز، ينثر تبر الحب والجمال على صحرائها، ولُجَين التميز والإبداع على سمائها...

وأبى القدَر بعد كل تلك العطاءات للبشر والحجر، وللشعر وللنثر، وما خفي كان أعظم.. إلا أن يعود الغريب إلى دياره، ولا يموت إلا في عشّه، ولا يُدفن إلا تحت طمي النيل الذي عشقه، ولا يكون موته إلا موت شهيدٍ للمرض وللحب وللعطاء، ولا يموت إلا وسط أهلِه وأحبابه.

بل إنّ القدر أبى أن تموت ذكراه؛ فالمحب لا يموت، والنقي لا يموت، والشاعر الحقيقي لا يموت.

إن حياة عماد مبنية على عماد المحبة والعطاء.

وذكراه ممتدة في قلب كل مَن له يد خيرٍ عليه مِن الأدباء وغيرهم.

والتكريم الحقيقي لمثله هو ألا ننساه في دعائنا.

فاللهمّ أكرِم مدخله ومنزله، وأبدِله دارًا خيرًا مِن داره، وأهلًا خيرًا من أهلِه واحشرْه مع النبيين والشهداء والصدّيقين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

قراءة في ديوان (العصافير)
«للشاعر عماد على قطري»

أ. حاتم عبد الهادي السيد

هل كان عماد قطري في ديوانه (العصافير) يؤطر للحُلم مساحةً متساوقة، تمتزج فيها الواقعية السحرية بالسيموطيقا؟ أم تراه يمازج بين أوجاع الذات، وهموم الشعوب والأوطان، فنراه يزقزق مع العصافير فوق نيل مصر، وبين ربوع اليمامة والرياض، وكل أرجاء الوطن العربي الفسيح؟

لقد تبلور مشروع الشاعر الشعري عبْر دواوينه السابقة: (عذرًا سراييفو ١٩٩٥م) وديوان (يا نيل ١٩٩٨م) وديوان (ما بيننا ١٩٩٩م) وكذلك مسرحيته الشعرية (المحاكمة ١٩٩٩م) ثم ديوانه (العصافير) الذي بين أيدينا الآن ١٩٩٧م.

وعبر هذه الرحلة الممتدة من شبراويش ــ مسقط رأس الشاعر في مصر ــ ثم إلى سيناءَ، والرياض واليمامة في المملكة العربية السعودية.

إنها رحلة الريف إلى الصحراء، بين عرار نجد، وريح اليمامة، وعبق الإيمان بين مكةَ والمدينة وغيرها من باقي المدن في المملكة السعودية.

وقد يحسب القارئ العليم بأننا تجاوزنا بحديثنا عن موضوع القراءة، وأؤكد أننا لم نغفل ذلك، بل عرجنا عليه لنؤطر لمسيرة الشاعر بين أرجاء اللغة، وأمكنة الدهشة عبر صحراءِ الحلم الممتدة، حيث العصافير تحيلنا إلى فك شفرات النص، واستكناه مضامينه وإشاراته الدالة، أو المتضمّنة عبْر الدوال، والتي تحيلنا بدورها إلى سبْر أغوار النص، ودلالاته الفنية والموضوعية من خلال الجمل الإشارية الذكية والموحية كذلك. ومع كلٍ سنعتمد الإهداءَ الذي قدّم به الشاعر ديوانه

كمرجعيةٍ مركزية لفك شفرات النص، وتلك ليست حيلةً لغوية أو لعبة شعرية، بل هي في مضمون استكناه نصوص الديوان.

يقول في الإهداء: (إلى دمنا المراق/ إلى دماء الأسرى الشهداء التي أراقها اليهود في سيناء عام ١٩٦٧م/ إلى دماء الأسرى الشهداء التي أراقها الجنود في الدلتا عام ٢٠٠٧م)

هذا.. ويُعَد العنوان ــ في الدراسات السيموطيقية الحديثة ــ مِن أهم العتبات الدلالية التي توجه القارئ إلى استكناه مضامين النص، وتفكيك شفراته، واستكناه محمولاته الدلالية، بما يعطيه من انطباعٍ أولي عن المحتوى، وبما يمارسه من غوايةٍ وإغراء للمتلقي؛ فهو أول مثيرٍ سيميائي في النص من حيث إنه يتمركز في أعلاه ويبث خيوطه وإشعاعاته فيه ويجليها، ويشير إلى شيء ما يجعل المتلقي يتخذ الحفرَ والتنقيب سبيلاً للكشف عنه وعن ملابساته، كما أن الإهداء هو المرحلة اللاحقة لذلك. ويقينًا أن الدراسات العربية لا تلتفت إلى ذلك، لكننا، ومِن وجهة نظرٍ جديدة، سنعتمد شفرةَ الإهداء وسيلةً لقراءة الديوان، وفك شفراته الدلالية والجمالية أيضًا.

وأول الدوال أو شفرات النص التي تقابلنا نجدها عندما يقول:

«إلى دمنا المراق».. وهو هنا ــ بالطبع ــ يقصد الدمَ العربي الذي أهدِر في كلّ من لبنانَ والعراقِ وفلسطين، ثم يأتي التخصيص بعد ذلك فيحدّثنا عن قضية الأسرى والشهداء في سيناء، حيث حوّل الصهاينة أجسادَ جنودنا إلى بِرَك من الدماء، فكانت المقابر الجماعية، وكان الظلم والعار الذي لطّخ كل عربي. ثم يحيلنا بعد ذلك ــ في الإهداء ــ إلى الواقع المصري عام ٢٠٠٧م، حيث الجنود يريقون دماءَ الضعفاء الكادحين في الريف المصري، والذين شبّههم بالأسرى أيضًا، كما يعرض مِن خلال ذلك لهموم المواطن في الشارع المصري، يقول في قصيدته (العصافير):

هل تبيت العصافير جوعي/ وتغدو خماصا/ وتأوي إلى عشها بعد حين من البحث/ جوعي/ وما من رفيق/ وما من وطن/ خبزنا.../ عند باب الكبار استراح/ عند باب الحوانيت يشكو العفن/ مَن يبيع الـ...؟/ مَن إذا ما انتهينا/ يوفّ الثمن؟/ .... ربما يحمل القلب عبء الغياب/ ربما..!/ يستطيع الحياة اشتياق الإياب/ ربما طلْقة مِن غبي تصيب الجناح/ ربما ليس في العش غير العذاب/ ربما.. ربما.. ربما..!/ ليس غير الوطن/ راية حانية/ دوحة في الهجيِ/ عشنا إن رمت في المساء/ السهام الرياح/ ألف سهمٍ وسهم هناك/ ليس يبقى طويلاً غريب الديار.

(الديوان ص ٨ :١١)

لقد جمع شاعرنا (عماد قطري) في هذه المقاطع كل هموم المواطن المصري والعربي، حيث نراه يتحدث عن الإنسانية، ومدى الظلم الذي يلاقيه الفقراء مِن الطغمة الحاكمة، أو مِن أولئك الذين يبيعون الأوطان ويدوسون على أحلام الفقراء، أولئك الكادحين في المصانع والحقول، والحطابين في الجبال، إنها المعادلة الفارقة بين الرأسمالية والبروليتاريا، بين مَن يحكم، ومَن يتحكم، إنها معركة الخير والشر منذ عهد آدمَ عليه السلام وإلى يومنا الحالي.

لقد نادي ماوتسى تونج، وجيفارا، وغاندي، وأحمد بن بيلا، وبوذا، وسقراط.. وغيرهم، برفع الظلم عن الإنسان في العالم، كما نادى هيجل وماركس، ونادى عمر بن الخطاب، وعم بن عبد العزيز، وغيرهم بقضية العدل الإنساني وحقوق الإنسان، إذ إنها قضايا الشعوب المقهورة ضد الطغمة الحاكمة المستبدة فى كل العصور، وشاعرنا ــ هنا ــ هو صوت الضمير، صوت الشعوب المقهورة والحالمة بأن تسود قيم الحق والخير والجمال. إنها أحلام البسطاء، فماذا لو ثار البسطاء؟ ماذا عساهم يفعلون؟

إنّ شاعرنا هنا يمزج هموم أهل القرية بهموم أهل المدينة، أي يمزج ما هو محلّي بما هو قومي، وما هو قومي بما هو عروبي، ثم بين ما هو عروبي بما هو إسلامي، ثم يربط كل ذلك بالعالم. أنها الهموم الشهية: هموم البسطاء الكادحين (هموم

الشعوب) ورغبة أولئك المتوحشين في التهام هذه الفرائس الشهية لتتاخم أرصدتهم بالدولار والين واليورو، إنها الآلام الشهية للوحوش المفترسة التي توغل في الدم، وتظلم وتسجن وتقتل من أجل الجاه والسلطان والكرسي، إنها المعادلة الصعبة للسلطة والشعب: السلطة بجبروتها وسطوتها وأسلحتها، والشعب بقيَمِه وتراثه وحضارته، إنه صراع الثقافة مع العصا، وصراع القلم مع السيف، وصراع الإنسان مع الظلم والفساد والاستعمار، استعمار الأرض والعِرض والشرف، واستعمار العقل والقيم والهوية، هنا تكون الكلمة الثورية، الكلمة المناضلة التي تستحث الشعوبَ للتمرد والثورة، لتعود الكرامة للإنسان، وتعلو القيم فوق قصور السلاطين والحكام، وفوق بطش المستعمر الغاشم، والحاكم الظالم، إنها معركة المال والعقل، معركة السيف مع القلم، معركة العدل مع الظلم وكبت الحريات. ولقد ألمحَ شاعرنا إلى ذلك في قصيدته (حوارية بين مصريين) يقول:

مِن عهد مينا لم نزل نفدى الرئيس/ بالروح../ والروح التي باتت مِن الترداد روحًا زائفة/ قالوا الخليفة سيّدك/ أهلاً وسهلاً سيدى/ والبيك والباشا الكبير حبظلم/ أسيادك الأفذاذ فاسمع أمرَهم/ سمعًا وألف تحيةٍ/ رغم الأنوف الزاعقة/ جند الفرنجةِ يا فتى/ وكبيرهم/ هُم سادتى/ والـ سير والـ مسيو الكبير/ وظابط الترحيل في قِسم الخليفة/ سادتى!/ قالوا الزعيم محرّر/ فاحملْ نعالاً فوق رأسِك واصطبِر/ قالوا الرئيس مسدّد/ قادَ الجيوش لنصرةٍ/ والضربة الأولى دليلك فاعتبِر/ والنهب والتوريث/ صمتًا لا تكن متبرمًا/ أنت الصبور فكن حكيمًا/ أو ترى عند المساء أفاعه/ سمعًا وألف تحية.

(الديوان ص ٥٠: ٥١)

إنّ شاعرنا هنا يتمرد على المجتمعات التي تؤلّه الحكام، وتجعلهم يورّثون مُلكَهم وعروشَهم لأبنائهم، مستبعدين في ذلك المخلصين من السياسيين من العامة، ومع استبعادهم للشعوب إلا أن الشاعر هنا يرفض كل ذلك، ومع أن القصيدة جاءت بعنوان "حوارية بين مصريين" إلا أنها يمكن أن تنسحب على كل الحكام العرب كذلك.

هذا وقد جاءت قصائد الديوان: العصافير، بعض ما قاله النيل لك، حوارية بين يارا ووجه نيلى، حورس، حوارية بين مصريين، يا بلادي، تظاهرة، وقائع موت نيل مصر، بنات.. أقول: جاءت كل هذه القصائد لتكشف الواقعَ المصري وقضاياه، وتحكى عن قصص الألم والحرمان لطبقة الكادحين ومدى معاناتهم: في القرية، والحارة، والمدينة، وفى الصحراء بين مضارب الخيام والعشش وبيوت الفقراء الطينية لمجتمع البؤساء، وكأننا أمام (فيكتور هوجو) جديد يشرّح المجتمعَ ليضع أمامنا صورةً صادقة عن الظلم الذي استشرى، والأحلام التي كُبتت تحت أحذية الجنود الذين عاثوا فسادًا وقَتلوا الأبرياء، فكما ظَلم الإنجليز أهلَ دنشواي، وكما قَتل المستعمِرون أطفالَ مدرسة بحر البقر، فإنّ رجال الشرطة والنظام ــ كما يذكر ــ قد أعادوا لنا صورةَ الظلم القديم، حيث العذاب لكل مَن يقول (لا) في وجه مَن قالوا: (نعم)، إنه قصفٌ لكل معارِض للأنظمة والحكام، فلا حزبية تُجدي، ولا حقوق إنسان تصان، ومع ذلك وجدنا العصافير لا تزل تزقزق للأمل القادم فوق نهر النيل الخالد، أو هي تقص للأطفال حكاياتِ الغول والعفاريت التي تتسلق كل شيء، وتدخل مع خفافيش الظلام وزوّار الفجر إلى غرف النوم، ويبقى النيل شاهدًا على العصر، ويحمل في طياته آلاف القصص لسجناء الرأي والسياسيين من المناضلين. لذا لا غروَ أن يستدعى لنا قصص (شهرزاد وشهريار) وحكاياتها للملك الظالم حتى تلهيه عن القتل والظلم كل ليلة، ومع ذلك نراها شهرزادًا عصرية حداثية، تحكى لنا عن الظلم العربي، وعن أحداث فلسطين، ويافا، وبيروت، والعراق وغيرها.. تقول:

"يا شهرزاد العرب تشتاق الحكاية / فاخلعي ثوبَ الغواية عن تباريح الزمان/ يا شهرزاد الليل مفتوحٌ على قصص العروبةِ/ فابدئي ليلَ النواح/ الديك محبوسٌ فلن يغتال حكيَك/ نورُ فجرٍ أو صباح / الديك في سجن الخليفةِ/ يحتمى بالآهِ والآلام من أثرِ الجراح/ بلغَ العروبةً أن قاهرةَ المعز أزَلّها/ مليار دولارٍ سفاح / بلغ العروبةَ أن يافا أحرِقت فاثّاقلوا/ وتَذَاكروا عبء الكفاح/ بلغ العروبة أن بغدادَ الهوى سقطتْ/ بأيدى الرومِ فاشتد النواح/ واسّاقطت فوق الفراتِ قنابلُ الموتِ المنضّب/ فانتشت

فرصُ الصياح/ بالروحِ../ لا روحٌ هنالك فاستمرّي/ مات نبضُ القلب فينا.. واستراح".

(أقوال شهرزاد، الديوان: ص ٨٢ : ٨٣).

لقد كشفَ شاعرنا ــ هنا ــ عن التبلد العربي، والهوانِ والضعف والعار فى مواجهة الصهاينة والأمريكان والبريطانيين، وكلّ أعداء العروبة والإسلام، والعربُ صامتون، عاجزون حتى عن أن يقولوا كلمة لا!

إنّ هذا الديوان يحكى عن الدم العربي المستباح، دم الأطفال، ودم الشباب والفتيات، ويبقى السؤال: مَن يحمى الدمَ العربي؟ مَن يدافع عن الأسرى العرب؟ مَن يمنع الظلم عن العرب؟ ثم مَن يحمى العرب مِن العرب؟ ومَن يحمى الشعوب المستضعفة مِن سطوة الطغاة؟

إنّ هذا الديوان هو صورةٌ رافضة، وهو ثورة للجياع، ثورة على الورق الآن، ثم تندفع فتصبح ثورةً على المنابر، فثورة في الشوارع والميادين لإعادة تصحيح المسار، والقضاء على الظلم للإنسان، ولكن رغم كل ذلك فإنّ شاعرنا هنا يخبرنا بأن الأمل لا يزال موجودًا طالما هناك رفضٌ ومقاومة، وطالما هناك مَن يقول لا، يقول:

"يا بلادي يا رهينة/ خلف خوفٍ مِن سجون/ أو تخوم أو سيوفٍ لا تجوعْ/ صوتنا آتٍ ينادى/ في القرى.. نيل النجاشي/ في المدن/ أقصى النجوعْ / فَجْرنا رفض الخنوع / فَجرنا لا.. ألف لا.. مِن بعد لا/ للعجز أو درب الركوع/ فجْرنا صبرٌ ولكن../ ليس عجزًا أو دموعْ/ فجْرنا فجرٌ سيحمى نيلَنا/ المحفورَ فينا/ في الفؤاد"

(يا بلادي، الديوان: ٥٦).

هذا والديوان مليء بالميثولوجيا، وباستدعاء الإشارات الموحية، كما أنّ شاعرنا يستخدم التكثيف في اللغة، والجُمل ذات الدلالات التاريخية، أو الإحالات التراثية التي تحيلنا إلى مواقفَ أو أحداثٍ أو غزواتٍ قديمة، كما أنّ الديوان يتميز بكثرة الرموز والمفارَقات، علاوةً على كثرة استخدامه للمجاز، وعلوم البيان

والبديع والمعاني، كما يستخدم الإيقاعَ العروضي للتفعيلة ذات الجرس المؤثر، والهادئ كذلك، كما يقبض شاعرنا على جذوة القصيدة لديه فنراه يستخدم التصريعَ أحيانًا دون تكلّف، أو يستخدم التجنيسَ والكناية بعنايةٍ فائقة، فكأنك أمام لوحةٍ تشكيلية شكّلها مبدع واقعى وميثيولوجي في آنٍ، ومع ميل بعض القصائد إلى الخطابية، إلا أنها خطابيةٌ مبررة وموظّفة لخدمة النص، وقد تكون أحيانًا بقصديةٍ منه إذ تستدعي القصائد الاستنهاضية إلى نبرة القوة فى الخطاب، أي إنها خطابية اقتضتها الضرورة الفنية لحالة الانكسار والترهل التي أصابت المجتمعات العربية، فهو يستنهض فيهم الهِممَ، ويذكّرهم بأيام العرب حيث صلاح الدين الأيوبي ومعارك حطين وعين جالوت، والفتوحات الإسلامية مع موسى بن نصير وطارق بن زياد ــ وانْ لم يذكر ذلك صراحة ــ إلا أنه متضمّنٌ فى السياق العام لمدلولات النصوص وإشاريتها المتناثرة٠

هذا وشاعرنا ــ هنا ــ يمزج في أسلوب الكتابة بين ما هو تفعيلي وما هو عمودي، فنراه في قصيدته (صبرًا أيا بغداد) يستلهم قصيدةَ الشاعر على بن الجهم، حينما يقول:

عيون المها بين الرصافةِ والجسر. جلبْن الهوى مِن حيث أدرى ولا أدرى

وبنظرةٍ متأنية نجد شاعرنا عماد قطري قد أعاد لنا (فن المعارَضات الشعرية) ذلك الفن الجميل، والأسلوب من الكتابة الذي قد تناسيناه على روعته، وفى هذا يقول معارِضًا ومستلهِمًا ومخاطِبًا الشاعرَ العربي القديم:

"ما عادَ جسرٌ يا عليُّ ولم تَعُد.. عينُ المَها بل لم يَعُد كرْخُ
أين الرصافةُ هاجَ عاشقُها بها.. ضاع الهوى فاستعظمَ الشرْخُ
هل هذه بغدادُ أحرفُها غدتْ.. إكس و واي أيْنه النسْخُ؟
هل هذه بغدادُ فارِسُها جَثا.. تحت الترابِ فسَاسَها المسْخُ

ثم يكمِل فيقول:

قَصَــفوا رؤوسَ النخــلِ شــاهدة.. عــلى أفعــالِهم فاســتفحل اللــبْخُ
هــذى جمــوعُ القاذفــاتِ بِجَوّنــا.. وعــلى الــدروبِ يَدوسُــنا الفَــخُ
هــذى الأي نارُهــا قَتلــتْ أخــي.. شــبحًا تصــولُ كأنهــا الــرّخُ
مــا عــاد جســرُ الهــوى يهــوى هنــاك.. وهــا هنــا رقــصٌ.. بــلا الــنفخ
صــبرًا أيــا بغــدادُ موعِــدُنا التقــى.. والفجــرُ.. والأحــلامُ.. والكــرْخُ"

(قصيدة صبرًا أيا بغداد، الديوان: ٧٠:٧١)

ومع هذه المعارَضة الشعرية إلا أنه يكشف لنا عن الهمّ العربي في العراق، وعن الدماء المسالةِ والأسرى والشهداء، وعن سقوط الرمز وسقوط الكرامة في مستنقع الصمت والانكسار والخنوع والخوف، يقول:

"يا ألف خيلٍ فوق جسمي وقْعُها/ هذى حوافرُكِ التي أدمت أديمَ أحبتي/ فانساب في دمِنا الخنوعْ/ يا ألفَ خيلٍ والدروعُ وطلقةٌ/ الجوع ينهش والعفاف ممزقٌ/ والقلب نبعُ الآهةِ الثكلى يموت/ وعيننا تشكو الدموعْ/ ما للجروح بميتٍ ألم قد تثور/ ومَن يهنْ يبقى أسيرًا للركوعْ"

(الديوان: ٦٥:٦٧)

وشاعرنا لا ينفى عن نفسه أنه أسيرٌ كذلك، مثل باقي الأسرى العرب في كل الأقاليم العربية، لكنه أسرٌ مِن نوعٍ آخر، أسْر البعاد عن الأهل والأحباب والديار، أسْر الغريب من أجل البحث عن لقمةْ يطعم بها العصافير الصغار، عصافيره المقهورة مثل كل العصافير العربية التي تتغرب، يقول:

"كانت فضاءات اليمامةِ مرة/ والأغنيات تصُكّ سمعي/ تفتدى مجدًا وآياتِ الفخار/ هذى بناياتُ الرياض تسد وجهي/ قِف!/ يا غريبَ الدار/ لن تحيا.. ولن تمضى../ فإنّ الدربَ نار/ والقادمون على جيادِ الكُره ألقوا في دروبي صرخةً/ لا.. عيّروني باغترابي ألفَ عار/ والنيلُ في دميَ المسافرِ/ يحضن الذكرى فيسمو/ يرسم الدلتا شموسًا/ خضب دمع الصغار"

إلى أن يقول:

"فيما مقامُك والدروبُ كئيبةٌ/ والذكريات قديمها وجديدها شوكٌ ونار/ قد كبّلونا قيودهم/ أشغلونا بالخزامي.. بالصبا/ شم العرار هل كبّلوك وأنت حُر؟/ هل ترى فى القيد سدًا/ أم تراك اشتقتَ عيشًا كالبهائم فى القفار؟/ لا.. / لم نكن يومًا كسالى/ بل خرجنا نزرعُ الأيامَ كدًا/ نرتجى فَجرًا ودربًا للصغار"

(قصيدة آيبون، الديوان: ١٥: ١٧)

ومع هذا الاغتراب وهذه الهجرة للشباب من أجل الحصول على المسكن والطعام للأطفال، إلا أن الشاعر يرفض هذه الغربة كذلك، إذ إنّ الاغتراب والتعيير به هو سِمةٌ تحدث لكل المغتربين، لكنهم يصبرون على هذا الأسر الاختياري من أجل الحرية للصغار، إنه أسْر الذات، وتَحمّل المشقة من أجل الآخرين، وهذا حال العرب والمصريين الذين لم يجدوا سعةَ الرزق في أوطانهم فغادروها بين القفار والصحارى، ومع هذه الغربة فشاعرنا يحِنّ إلى نيل مصر، إلى الحضن الدافئ الرءوم.

هذا ونلحظ استخدامَ الشاعر للمعادل الموضوعي بشكلٍ عام، فالنيل وخبز الصغار، والانكسار العربي، هو الصورة الكلية التي تنسحب على كل قصائد الديوان لتحكي معادلَ الفقر والمرض، والجوع والأمية والانهزامية، وكلها أمراض ابتُلينا بها من جرّاء العجز العربي، ومع ذلك وجدنا المعادل الضمني في الأمل في استنهاض الهمم، واستعادة الثقة بالنفس، وتشريح الواقع لإعادة صياغته في صورةٍ أكثر إشراقًا، إنها الصرخة العربية، صرخة الجياع والمظلومين والمقهورين، صرخة الشعوب الحزينة من جرّاء ما وصل إليه العجز والهوان العربي، ومع ذلك يحلم شاعرنا بالوحدة والقومية العربية، وبعودة الكرامة التي سلبها اليهود والروم والتتار والأمريكان وكل الذين يناصبون العداء للإسلام والعرب في كل بقاع الكرة الأرضية.

وبعد: ألسْنا كلنا أسرى؟ ألسْنا أسرى الفقر والجوع والحرمان والعجز؟ ألسْنا أسرى الحياة؟ ثم ألسْنا امتدادًا لأولئك الأسرى الذين قصدهم الشاعر في الإهداء في مطلع الديوان؟!

إنّ الإهداء في رأيي هو الدال القاسمة لكل مدلولات الديوان، كما أن العلاماتِ هي التضمينات، والجُمل الإشارية الموحية التي تناثرت في كل القصائد، لذا كان عِلم الدلالة أو السيموطيقا هو الأساس الأول الذي ابتنينا عليه موضوعَ قراءتنا الأدبية لديوان (العصافير).

إننا أمام شاعرٍ أحكم أدواته الأدبية، لذا رأيناه يوظف الأيديولوجيا والرمزَ السياسي والميثولوجيا لخدمة المعنى في النص، حيث ضمّن كل ذلك في جُملٍ قصيرة موحية تشي بالروعة، فغدا الديوان بمثابة عقد لؤلؤٍ جميل على صدر حسناءَ عربية، لكنها مصابةٌ بالعجز والترهل، فغدا صوتها غيرَ ظاهرٍ للكون والعالم.

إنّ هذا الديوان يحتاج مِنا إلى قراءةٍ أكثر وعيًا، وأكثر عمقًا، وربما قراءة أخرى تكون أكثر شرحًا وتحليلاً لمضامينه الغنية والمكتنزة من أجل استكناه معانيه، والاطلاع على مبانيه ودواخله.

إنّ شاعرنا مهموم في هذا الديوان بالواقع العربي حتى النخاع، وأظنه قد نجح في تصوير حالنا العربي إلى حدٍ بعيد، ولكن هل تراه وضع حلولاً للخروج من المأزق العربي؟ أظنه كذلك.. مع أن الشعر في وظائفه ليس معنيًا بإعطاء الحلول، وإنما تبقى الدلائل والإشارات، ويبقى الشعر، زقزقة عصفور، وصوت جدولِ ماء، وسماء زرقاء لغدٍ مشرق، وصباحات جميلة ممتدة في سديمٍ لا نهائي، مشرِق ومثير، وجميل أيضًا.

شاعر التغريبة السيناوية

«للشاعر عماد على قطري»

أ. عبدالله السلايمة

في قلب العاصفة، عند البوابة الشـرقية لمصـر، وبين أشجار التين والزيتون، وقف عماد قطري ينقش القصيدة على الرمل، ويغرس الحنين في مفاصل الجغرافيا. لم يكن شاعرًا عابرًا في الطريق، بل مقيمًا في القصيدة، حارسًا لذاكرة سيناء، وسادنًا لوجعها العتيق.

من المنصورة جاء إلى العريش موظفًا بالإدارة الهندسية بالعريش عام ١٩٨٨ وما لبثت أن سكنته سيناء كما تسكن النار عود الحطب. هناك، حيث يشهد الرمل والشهداء، كتب ثلاثيته الشعرية الكبرى "التغريبة السيناوية" في أجزائها: "بعض ما قالت العارية"، "تلك الدار"، و "مدن البعاد".

ثلاثية امتزج فيها الحنين بالغضب، وسيرة الشاعر بمرايا الأرض، فحفر بها اسمه بين شعراء المقاومة، وسجّل للتاريخ سيرة منفيّ. اختار القصيدة وطنًا حين ضاق الوطن بالشعراء.

لم تكن التغريبة عملًا شعريًا فحسب، بل سردية وطنية وإنسانية تمزج بين دمعة البدوي وخريطة تتناقص فيها الأوطان كلما اتّسع القمع. في بعض ما قالت العارية ينكشف الجرح، وفي تلك الدار يبحث عن البيت المفقود، أما في مدن البعاد فتتجسد مرارة المنفى ووجع الاغتراب.

كتب عن البدوي الذي لا تُعجبه السيوف ولا النجوم، وعن أرض تُحب لكنها لا تُحتمل، وعن ضياع الحقيقة بين السراب.

قال في إحدى قصائده:

"وأنا ابن هذا الرمل ما بعتُ الحقيقة للسراب
مذبوحةٌ سلمى وما جفّ الخضاب
كلُّ الخطى نحو العريش يتيمةٌ
والسيفُ مجنون"...

عاش في العريش اثني عشر عامًا، أسّس مع رفاقه نادي الأدب، وساهم في إطلاق مجلة "النورس" التي عرّفت بإبداع أبناء سيناء وأصبحت منبرًا ثقافيًا حرًّا .

لكن الشعر، كعادته، كان مكلفًا. فقد أغضبت قصيدته "مقاطع من مجلس بدوي" المحافظ اللواء منير شاش، الذي أمر بفصله من عمله عام ٢٠٠٠ لتتوالى الضربات ويضطر الشاعر إلى بيع الأرض التي كان يحلم أن يقيم عليها مركزًا للإبداع.

غادر سيناء مثقلًا بالخذلان، لكنه لم يتوقف عن الحلم. في مكة، أسّس "مركز عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية"، مؤسسة غير ربحية أصدرت خلال عقدين أكثر من ٥٠٠ كتاب، واحتضنت عشرات المواهب، وأطلقت مسابقات شعرية سنوية امتدت إلى مختلف بلدان العالم العربي.

كان عماد قطري شاعرًا لا ينفصل عن قضاياه، ولا يساوم على مواقفه. رأى في الشعر موقفًا قبل أن يكون موسيقى، ومسؤولية قبل أن يكون متعة.

ظلّ وفيًا لقيمه الأولى: الحق، والعدل، والانتماء. كتب عن العريش:

"في العريش تقسو عليك الجغرافيا ويحنو عليك التاريخ... فيها دم شهيد، وماء غريب، وبحر ساحر... فيها بدوها الشرفاء، وعيونها الثرة، ونخيلها الشامخ شموخ العربي الأصيل والمصري النبيل".

أسهم في تأسيس نادي الأدب بالعريش إلى جانب الشعراء: حاتم عبد الهادي السيد، محمد عايش عبيد، رمضان الحضـري، أشرف العناني، إسماعيل أبو

زعنونة، وأسامة أبو زور، وغيرهم، ففتح النادي بابًا لحركة إبداعية واسعة غيّرت وجه المشهد الثقافي في المدينة.

في إنتاجه الشعري صدر له أربعة عشر ديوانًا، من بينها: عذرًا سراييفو، يا نيل، سبع نساء يجئن خلف العاصفة، وقائع من دوحة العشق، ترانيم عشق، ثورة التحرير، العصافير، وأغنيات لسيدة المواسم والأبجدية. كما كتب مسرحيتين شعريتين هما: المحاكمة ووجع المنافي .

وظلّت التغريبة السيناوية حجر الزاوية في مشروعه الشعري، إذ قال عنها:

"كتبت نصوصها انتصارًا للحق والعدل ، وقبل ذلك للوطن الذي نحيا به ويحيا فينا".

ورغم الغياب الجبري، بقيت سيناء تسكنه. وجد عزاءه في أن ديوانه **"تلك الدار"** يُدرَّس الآن في جامعة العريش بإشراف الدكتور عصام أبو زلال، إلى جانب ديوانه **"سبع نساء يجئن خلف العاصفة"**، وكأن ذاكرة الأرض تُنصفه بعد حين.

في صباح التاسع من فبراير ٢٠٢٥ أسلم الشاعر روحه بعد صراع مع المرض. نعاه أصدقاؤه بكلمات دامعة، لكن القصيدة ـ كعادتها ـ سبقت الجميع .

كتب في خاتمة التغريبة:

"لعلها تبقى في قلوبكم حين أغيب".

وقد بقيت.وكأن الرمل الذي كتب عليه أوّل قصائده ما زال يحتفظ بصدى صوته.

رحمك الله يا قطري، فقد رحلت بجسدك عن دنيانا، لكن روحك ستظل بيننا، تلهمنا بما تركت من إبداع، وتذكّرنا أن الكلمة الصادقة لا تموت.

نصـــــوص شـــعـــريـــة

قلبك ما بقاش مستحمل

«إلى روح عماد قطري الهائمة»

أ. السعيد المصري

❋

وأنـــا بانـزف..

نـــزف مـنفـــرد

المـزيكا.. بتاخدنى لفـوووق

وتقصقص جناحاتى

فانـــــزل..

أجـــدّر.. فى الأرض؟!

❋

لما بازحـــزح..

من جـوايا حـروف مكسوره

تبان الصـوره..

فى عـين الكامـيرا..

عيـَّل بينـزف

وعيـّال مقـاريط..

بيعوموا..

فى دمـه الفـاير

ومـلايكه إزاز..

بتطبطب..

على موجـة قلـبه الهـايج

وعرايس بحـر..

بتبـنى قصـور بنـور..
على شـطه
فيحـطه الحـلم..
فى فيلم الكامـيرا..
ويلُـقــط.. صـوره..
غـريبه.. لروحـه؟!
*
امبـارح..
وأنا بانـــزف ويـَّاه
كان برضـه بينـزف ويـَّايـَّا
كنت باقـول له: كفايه..
دمـك..
نـازل ع المواسـير..
بيكسـر..
فى الإشـارات الحـمره
بيخش الشـاشه..
يلخبط فى المذيعـات
ناشع من جـدران..
الإوض البايشـه
طافـح من بلاعـه..
فى شـارع ضلـمه
بيلزق..
جِـزم الناس..
فى مشـاعرك

قلــبك..
مابقـاش يستحمل نــزف
ولا عاد فى عـروقى..
فصيلة ضـى..
أتبـرع بيــها لروحـك؟!
*
أحســن لى..
وأحســن لك.. نسكـت
طوَّالى نبطّل نـــزف
وان طل الحرف براسه..
عـايز يفــرد جناحاته..
بـره حـدود الممكن
طوَّالى..
نقصقص ريشـه
وان فـات الحـلم..
بجيشه المهـزوم..
فى جـنازة..
مرحوم الشوف
أحســن لى..
وأحســن لك..
نفـرفـط من جـوانا..
كـيزان الحـزن
يا تشـوف لنا قـبر مـوارب
واحـد فينا..

يخـش الآخـره
وواحـد ينـزف..
روحـه علـيه؟!
*
يـاااا ه ه..
لسه بتنـزف..
حليب وطـيابه
مش قُـلت خلاص..
هاتغـيّر جـلدك..
وتلــزق..
على وشك مَاسك
يكتف صـدر الواد..
اللى بيحبى فى روحك
مش قُـلت:..
هاتُكرش أى مـلايكه
تهـوّب..
يمـة قلبك
عـارفك..
دايمـاً ترجـع فى كلامـك..
لـ حـــد..
ما كتـروا المريديـن..
حواليـك؟!

*

مش عـارف..
إن كات روحـك..
فـارده قلوعـها..
فى السـماوات
واللا فى عِـب الأرض البـور
متكتف خـالص..
واللا مكتف روحك للغـربان
تـايـه..
واللا معـاك عـنوان الضِـل
مكسـور شـوفك..
واللا حـروفك..
قـايده رصيـف
مـرمى..
فى جـوف زنـزانـة حـلم..
واللا بترقـص..
بَـره السـور، ويـًّا السجـان
ما أنت نـزيف..
الكل فى واحـد
وأنـت نـزيف..
ووحـيد الكل؟!

*

يعـني خـلاص..
مش هتبطّل نـزف
خدت خـلاص..
على طعـم الـدم..
ف بُقـك
ريحـة الـدم..
فى كفك
كُحـل الـدم..
فى عيـنك
ما انا ياما نـزفت..
دمـوعى عليك
وانت دلوقتى..
بتنـزف.. عمـرك لـيَّ
ما تيـجى..
نبطّل نـزف
احـــنا الاتنـــين؟!

*

دا انـتَ بقيـت..
دَبـــلان الـروح
كأنك أم شهـــــيد..
مدبـوح ع الشـاشه مباشـر
كأنك بنت بتنـزف..
من جـوّاها..

فى بُـق رضـيع
كأنك بـــير مفـتوح
بيفـوح بروايح..
حلـم معافـر
كأنك..
كافـر/ مسلـم
مسلـم/ كافـــر؟!
*
البنـت الهبـله..
اللى بتنـزف جـوايا..
وبانـزف جـواها..
إيه خلاَّها..
توافـق تنـزف منك..
تلات عيّـال عفاريت
إيه خلاَّها..
تكسـع باب الحـواديت
وتعيـش ويـَّاك..
فى قصـور الجـنه
إيه خـلاها..
تقـيد فوانـيس الضـهر
وتنـــده..
على رب البيت الخايب
اللى مش فـالح..
غير فى النـزف حروف

وان جـاب مـره..
رغـيف العيـش..
يقسـمه..
مع أول قطه تقابله..
ويفـرفت نُصـه التـانى
لنجـمه بترجـف
وان جـاع..
يقطف ورده بشوكها..
لأول بنـت تكعـبل روحـه
وان خـاف..
يرمى الـورده
فى حضـن كتاب،
«الظاهـر بيـبرس»
ويخـرج يشـتم..
فى الحكومـات الخاينه؟!
*
مش حاجـه تقرف..
وتخلّيك..
لو ساكت تنـزف..
تحـدف..
من جـواك/ بـراك
من بـراك/ جـواك
أشـواك..
بتفُـض لجـام أوجـاعك

مـين باعـك..
باع ويّـاك الضـى
فبقـيت..
عايــش/ ميــت
ميــت/ حـى؟!
*
مـالك كده..
ما انتاش على بعضك..
شايفـك..
مـاشى تسـن ضوافـرك
نـاوى تخـذّق..
عـين كوابيس انصاص الليـل
نـاوى تمــزَّع..
عيّـل لسـه بيحبى فى روحـك
واللا تأنجـش بنت..
بتقـطف..
من بلكـونة قلبك شــوق
مالك كده..
مخنـووق.. وبتنـزف؟!
*
لإمـتى..
هتفضـل تنـزف..
لـ حد ما تفلت روحـك..
من أرابـيز الطـين السـاقع

واللا لـ حد ما ينشف..
من جـواك البـير
واللا تكون مستـنى مـلايكه..
يجـوك بإبـر وخـيوط.. فى مـنام
وتلـفُق جـرح الـروح الواسـع
لإمـتى.. هتفضـل سـامع..
عيـّل حلمك يصرخ
ولا بتحـط الـبزازه..
فى بُـقـه
ولا بـتزقـه يخـطّى الممكن
أحسـن لى ..
وأحسـن لك..
تركـن على أى رصـيف
وتسـد نـزيـف العمـر..
بقُطـنه؟!
*
أنـا بانـزف..
وأنـت بتنـزف..
احنا كورال النـزف..
الرايحين.. على آخر جرف..
هانحـدف روحـنا
ما احـنا بنخرج..
بـره الجـته الدايبة.. بروحـنا
وندخـل جـوّا كتاب..

مركون ع الـرف
شـربت صُفـحه.. صـديد ملامحـنا
ما إحـنا نـزيف..
السماوات/ الأرض..
الأرض/ السماوات
الأمــوات/ الأحـيـاء..
الأحـيـاء/ الأمــوات
ما احـنا الشعـرا..
الهـلافيت/ الفـرافيت
اللى نبـوش..
من ريحـة المـيّه؟!
*
مش عـارف..
مين.. بينـزف.. على مـين
العسكـرى..
اللى كمـامه بتنـزف..
فسفـور
واللا العصفـور..
الهـاجج م القضبان..
على شوشة شجرة سنط
واللا البنت..
اللى بتطبع روج شفايفها
على ضلفة قلـبى..
وعتبة روحى

واللا القلم المتعبى..
صـديد حمـضان
النعسان على كتف..
الصفـح الفـاضيه
واللا النسوان العواجيز..
الراكنـين..
على باب القـبر المـتوارب
واللا الصـبر..
اللى مكحّـل عـين..
بيـاعة الفـُل
واللا سحـابه..
بتشـتى حليبها..
لطفـل حـزين
طـب مـين..
اللى بينـزف على قلـبى
وقلـبى..
هاينـزف على مـين؟!

ذِكْرَاكَ.. نَبْضُ صَحْرَائِي

أ. أشــرف عــزمى

«في رثَاءِ الحَبِيبِ
صَاحِبِ "التَّغْرِيبَةِ السِّيْنَاوِيَّةِ" عِمَاد قَطْري»

اسمُكَ نبضٌ لا ينامُ
في صحراءَ من صمتٍ،
شظيةُ ضوءٍ في رفٍّ قديمٍ،
رائحةُ ورقٍ يتنفسُ
من كتابٍ لم يُفتحْ بعدُ.

ندواتُنا نافذةٌ،
نُشكلُ فيها الأفقَ
جسرًا نعبرُهُ،
إلى مدينةٍ لم نرَها،
تتقاسمُ الثلجَ والدفءَ،
تفتحُ أبوابَها لخطواتِنا،
كأننا أولُ ساكنيها.

قوافيكَ عطرٌ،
يتصاعدُ من ليلٍ صامتٍ،
ندى يتساقطُ
على كتبٍ مفتوحةٍ،
تدفئُ بها القلوبُ،

نافذةٌ صغيرةٌ،
تشقُّ جدارَ الروحِ،
تطلُّ منها الحكاياتُ،
أعمارٌ أخرى تتجدَّدُ،
كلما نطقتُ باسمكَ.

ـ قلتَ لي ذاتَ صمتٍ ـ
الإبداعُ،
هو الوجهُ الآخرُ للخلودِ،
الوجوهُ تتساقطُ،
كأوراقٍ مثقلةٍ بالمطرِ،
يظلُّ الحرفُ واقفًا،
كشجرةٍ،
تعرفُ طريقها إلى الضوءِ.

الغيابُ؟
ليس موتًا،
إنه شجرةٌ أخرى،
تتأرجحُ في ريحِ الفجرِ.
شعاعٌ يتسرّبُ
من شقوقِ الغيومِ،
خطواتٌ تتركُ أثرَها
على أرضٍ مبتلةٍ بالحنينِ.
أدركُ...

أن ما يغيبُ جسدٌ،
يبقى سرابًا من نورٍ،
يهدي الصحراءَ
طريقها إلى الأبدِ.

(الواقفونَ على الثغورِ بلا سماءِ، واقفونَ،
والنيلُ في أقصى الجنوبِ،
يعبئُ الأحلامَ في الحزنِ المقيمِ.
وقفوا...
ورملُ الله في سيناءَ يغصبه الغريبُ،
والماءُ في البئرِ الحزينِ ملوّثٌ بالفقدِ،
والأوجاعُ والطعمُ الشريدُ،
حزنٌ كأن النخلَ آناتٌ مشرّدةٌ،
تساقطَ دمُعها، تمرُ البعادِ).
ــ عمادُ قطري، التغريبةُ السينائيةُ ــ

النهرُ الذي تركتهُ،
ليس في دمي فقط،
بل في اللغةِ،
ينسابُ... ولا يجفُّ.
ما زالت (التغريبةُ السينائيةُ)
تمشي بيننا،
كأنها قصيدةٌ تبحثُ عنكَ،
في الرملِ والندى،

كنّا نطوفُ معًا...
آخرَ الصفوفِ،
الخطواتُ عبادةٌ،
الدعاءُ يعلو،
كقمرٍ يخرجُ من بينِ الحشودِ،
همستَ لي:
الطوافُ صلاةٌ ثانيةٌ،
والسيرُ ذكرٌ لا ينطفئُ.

تمشي معي،
في كل قطرةِ مطرٍ،
في كل ورقةٍ تتأرجحُ،
في كل صمتٍ،
ينبتُ منه الضوءُ،

الآن، أمشي وحيدًا،
أرتدي قميصَ الغيابِ،
أستظلّ بظلك،
كمن يستظلّ بسماءٍ بعيدةٍ،
اِعلم أن النورَ الذي تركتهُ
في صحرائي، لن ينطفئَ.

التغريبة الأخيرة

«إلى عماد قطري»

أ. إيمان بشناق

مِن خلفِ حزنٍ صامتٍ
في حسرةٍ نادى المنادي:
دارَ القريضِ أنِ احزني
فاليومَ صرتِ بلا عمادِ
مِن بعد طول البيْن آبَ
النايُ مِن مدنِ البعادِ
هَجر الغريبُ خيامَه
حَط الرحالَ على البلادِ
خَط العليلُ أنينَه
فوق الروابي والمهادِ
ثم انثنى في هدأةٍ
مِن قبْلِ أن يفنى المدادْ
الليلُ أمسى واجمًا
والصبحُ أضحى في حِدادْ
وبناتُ أفكارِ القصيدةِ
آثَرتْ لِبسَ السوادْ
والشطرُ يضرب صدرَه
والحَرفُ ما بلغ المرادْ
سيناءُ غابت شمسُها

قد شَفّها طول السهادْ
سَحرٌ وسُلمى في أسىً
مفجوعتانِ بغيرِ زادْ
وبمكّةَ انقهرَ الحَصى
والصخرُ نادي وا عمادْ
يا أيّها النايُّ الظمي
النيلُ آذَنَ بالمعادْ
يا مَن قضيتَ العمرَ
طُرًّا تبتغي خيرَ العبادْ
يا مَن سَكبتَ القلبَ
نهرًا صبّ في بحر الودادْ
فلتسترِحْ يا ابنَ العَنا
لا تبتئسْ فالبوصُ عادْ
وارقدْ قريرَ العينِ عند
الرمسِ مسرورَ الفؤادْ
تغريبةُ اليومِ الأخير
بجنَّةٍ يومَ التنادْ

حبكايات

(رحمة ونور يا عماد)

«إلى عماد على قطري»

أ. محمود الحبكي

فاكر..
لما دخلت الأوبرا بقطري
قُلت يا خال إوعاك تتأخَّر
دايماً كُنت بتجبر خاطري
لما ديوان (الهامش) فاز
قُلت الجايزة الأكبر عندي
إني أشوفك يا عماد قطري
حتي ساعتها مشيت أنا بدرى
كُنتش عارف
إن دي آخر مرَّه أقابلك
كل ما باحزن وأكتب سطر
بتيجي ملامحك تمسح سطري
ما أنت قريت المشهد صح
يا عماد قطري
رحمه ونور ما صنعت الفرحة
كل ما أبُص،
وأفرك عيني
أقول ما مصدِّق

فجأة ألاقي إيديك،
علي كتفي
وألقاك شطري

حَبيبٌ لا يَغيب

«إلى عماد قطري»

أ. عبد العظيم الأحول

مـــــاذا أقـــــولُ ودهشـــــتي تغشـــــاني
والـــــدمعُ مِـــــن فـــــرْطِ المُصـــــابِ غَـــــزاني
يـــــا نهـــــرَ خـــــيرٍ بالعطـــــاء رواحُـــــه
وغـــــدوّهُ بـــــين الـــــورَى أغـــــواني
مـــــا كنـــــتَ ترجـــــو غـــــيرَ ربٍّ شـــــاكِرٍ
مِمّـــــا صـــــنعتَ، فكـــــل شيءٍ فـــــانِ
إنّ الجِنـــــــانَ إذا حللـــــــتَ ســـــــعيدَةٌ
والفَقـــــدُ يُـــــدمي قلبَنـــــا ونُعـــــاني
لَـــــكَ يـــــا عِـــــمادُ تَفَطَّـــــرَت أوصـــــالُنا
حُزنًـــــا وغَـــــمًّا عَـــــمَّ كـــــلّ مَكـــــانِ
يـــــا بـــــنَ الـــــ (عـــــليِّ) سَـــــموْتَ في أحـــــداقِنا
وسَـــــــبقتنا لَمحبـــــــةِ الـــــــرحمنِ
وغـــــدا بكـــــاءُ الشـــــعرِ فقْـــــدَ أمـــــيرِهِ
صمتًـــــا، وإنَّ الصـــــمتَ أبلَـــــغُ شـــــانِ
أمضـــــيتَ مِـــــن حِجـــــجِ العقـــــودِ ثلاثـــــةً
عنـــــد الحبيـــــبِ المصـــــطفى العـــــدنانِ
ولكَـــــمْ تَمنيـــــتُ اللقـــــاءَ هُنيهَـــــةً
فيهـــــا ألـــــوذُ بصـــــدرِكَ الريّـــــانِ
لكـــــنْ حُرِمـــــتُ، ومـــــا حُرِمـــــتُ بهيِّـــــنٍ

فَلَحَى الإلهُ مُفرِّقَ الخِلّانِ
يا وَيحَ قلبي حين يُرثي دَفقَةً
من عُمرِهِ آلَت إلى الذَّوَبانِ
مَرَقَت وكانت... يا لها مِن دَفقَةٍ
عِطرِيَّةٍ تَعصَى على النِّسيانِ
(قَطري) مِن الآلامِ يملأُ ساحتي
ويَزُجُّ بي في هُوّةِ الهَذَيانِ
ماذا أقولُ وذا رثائي عاجِزٌ
يمشي إليك بخطوَةِ الخِذلانِ
حيّاكَ ربّي مِن حبيبٍ مُخلِصٍ
باقٍ على الأعمارِ والأزمانِ
فانعَمْ بجنَّةِ خُلدِهِ وحنانِهِ
يا جَنّةً هَجَرَت بني الإنسانِ

وجيــعة الضــاد

«إلى عماد قطري»

أ. محمد عبد الرحمن حجازي

يا ضاد لابسة السواد.. حقك
ماهو الحاصل ضلام حالك
وشدي اليتم على حُقِّك
ماهو وجع البعاد طالك
ومات بطلك وخَيَّالك
ومرسالك لسان حالك
أمين حِمْلِك وحَمَّالك
قريب الداني والأبعد
و(أَلْفَا) الأَولِيا ولادك
فمين بعده يجيب حقك
بياض محلوب من الحالك
ومين هيحَرَّض (الأبجد)
يلملم جيش لَخَيَّالك
يحاذي بيها على حرفك
ويسجد للي أوحى بِك
يخلي وجعنا يتحرك
ما بين تفعيلة بتطبطب
وبين تفعيلة بتحَرَّك
ينز من السما المشرب
يفيض البحر ويمدد

ما بين وَصْلِك وأَوصَالِك

*

يا إتلاتي.. الغيطان بتئن
ومن أقصاها للأقصى
بُكَا مَطَرِي..
ماكانش يمن
مافاتش ف يوم مجالسها
وكان للطيبات بيحن
وخَاوَى كل دراويشها
ومحاسيبها ومحابيسها
وباس إيد كل حراسها
يا إتلاتي.. ولي الله وقديسها
جدع (لُقْمَانِي) إذا اشتدت
وريث ما فاته (إدريسها)
جدور من قلبها امتدت
لجوامعها وكنايسها
ومَيَاتِمها وأعراسها
يا إتلاتي أنا هتجن
عماد مات ولا كالعادة
بيشقى لجمع زوادة
يفرقها سبيل لله
... قليل يُشْكر
فيخجل ثم يستغفر
كتير ينكر..
يحَكِّم فطرته ويغفر

ويستر دمعته بضحكة
ويستر جتته بإحرام
يِطَوَّفْهُم في بيت الله..
ويسعى بهم وجواه آه
يا اتلاتي الولي بيرتاح
ما بين الشِدَّة والأحلام
يا (سَحَّار) بوحنا في الغيبة
وحافظ سر غربتنا
أكيد قال لك دي تغريبة
هيرصد فيها حرقتنا
وزنقتنا ما بين مهجرنا وبيوتنا
(شريف) بيخانق التصديق
وقلب (حمادة) صابه الضيق
يا (جزايرلي).. السطور بتضيق
نعيته بحُرْقَه.. ونعيتنا
تصدق..
جاني فكرني
ب(ست الحزن) وأملها
في مين يلضم ف مَوَّالها
حناجر لسة بتغني
وقاللي أوعى يا محمد
تبطل تحكي أخبارها
قدر يا صاحبي تتجند
برتبة حامي أسرارها

وأساورها وأسوارها
وكنايسها وأزهرها
وعَمَّدْني في (حابي) بنور
وِزَمْزَمْلِي احتمالي البور
وأَمَّنِي على المستور
وطبطب ع الوجع والكسر
وقللي ان الفراق مقدور
فَبَلَّغ عني ضحكة مصر
(على الأرض انت ست الحور)
وأوصيكم بأخر (العصر).

صـانع الفــرح

«إلـى عمـاد قطـري»

أ. محمد خميس خالد

وأقول: سافر عمره
في رحلةٍ
ويقول دمعي: حبّذا لو عادا
حَيّرتَني يا حزن
كيف أقولُه
مَن يصنع الأفراحَ، والأعيادا؟!
والشِّعرُ يسألني العبورَ لِبحرِه
متفاعلاً، ولعمقِه منقادا
لكنني أرثي الحياةَ وناسَها
والأرضُ تفقِد هذه الأوتادا
وتجيء ـ وحدَك ـ
في شموخٍ هادئ
كالنخلِ بالأطياب
حيث تنادى
وأقول: شِعرُ فيه شبّاكٌ على
سيناءَ مِنه
يرتّلُ الأمجادا
وأقول قلبٌ طيّبٌ وحكايةٌ
للنُّبلِ، أجمل سيرةٍ تتمادَى
وأقول ما تَروون عنه بأنه

قد كان نهرًا جاريًا وجَوَادا
فصلٌ مِن الأحلامِ
زارَ حياتَنا
كي يسعِدَ الأولادَ والأحفادا
ويعود بالدنيا لأجملِ عهدِها
ويجمّل الأيامَ والأشهادا
هذا الذي يُبقيه
لم يمُت الذي
بالروحِ أضحى أمّةً وبلادا
يَبقى مِن الإنسان ما يَبقى به
مِن خالصِ الإنسانِ
أو ما شادا
مهما يكنْ فِعلُ الحياةِ بأهلِها
إنّ المريدَ إذا أرادَ أرادا
يا أيها الرحّالُ جُزتَ مَفاوزًا
كانت..
وكنتَ لِذي الصروحِ عمادا

صـانـع الأحــلام

أ. فــرج الضــوي

إلى روح الفارس النبيل أخي وصديقي «عماد علي قطري»، أنبل مَن عرفت.

مِن أمنياتِ الأمسِ للبَرِ الغرير
أبحرْتَ للغدِ
في غصونِ الأمنيات
إيهٍ مسافات الطريق
وإيهٍ صانعَ الأحلام
ألقُ اللجينِ إذا تلألأ
فوق ماءِ البحر تَكتب فيه
وتخطُّ آلافَ القصائدِ
فوق أيقوناتِك العليا
فلِسدرة الشّعر انتهائي
وانتهاؤك
وشوشتَ بحرًا بالمنى
فأجابك البحرُ الكبير
على مداراتِ المدى
جاءت نوارِسُه
إليك مع الصدى
في شجوِه، في فرحِه
في لعبِه، في جِدّه

بفنونِه بجنونِه
لوّنته
علّمته
رقصتَ فيه
مع الفراشاتِ التي
شَرِبَتْ رحيقَ الزهر
في طلْع الندى
أيا النوارة الأولى
أجيبي أثمِري
رُدى عليّ
وغرّدي
هل تعرفين البلبلَ الصدّاحَ
في شدوِ انبلاجِ الصبح؟
حين يدورُ مسرورًا
بأول خيطٍ قد تَجلّى بعد إليالٍ طويل
يصنع الألحانَ للكونِ الفسيح
للمجرّاتِ للكواكبِ
للنجومِ وللفضا
حين تشدو
على ألحانِه أصداءُ ما توحي السما
ماذا يقول البحرُ عندك بعدَها؟
- يقول البحرُ عندك
عندنا في البحرِ يأتي نورسٌ
يغوص يصطادُ السمَك

وللبحر رائحةٌ هناك قديمةٌ
مثل المراكبِ والصَدَفْ
تغوص خلفَ الموجِ
شمسي بعدما
كَسَتْ السماء
بلون أطيافِ الغروب
ذاك النداءُ المستحيلُ لطائري
يملأ القصرَ الظليم
فتستجيب
النسمةُ الصيفيةُ الأخرى
لملمحِ ذلك البصرِ المغنى بعدما
يهديه مِن عُمر الفضا
حُلم النجوم
مُلئ الفراغ
وحقق الحلم القديم
فأطْلِقْ الحوريةَ الشقراء
أهْدِني عروسَ البحرِ والأمواج
أبني في البقاعِ اللؤلؤيةَ كوخَنا
يا موعدَ الزحفِ الدءوب
على مداراتي العتيقةِ
ماذا تقولُ لك السماء
حديث عمرٍ والأغاني
كلها وجعٌ وفرح
بعض آثارِ الجراح

فلتبتدي الترحال
علمها السنين
ولا تَخَف
فالكونُ أهونُ
أن يكونَ
مروعا .....

أمطار كانون

في رثاء الشاعر «عماد قطري»

أ. رشا عادل بدر

تبت يد الحزن حين اختار تأبيني
في عين قافية تختار تكويني

في عين طفل تراءى لون زرقته
توسد القلب والشريان في الحين

في عين أفئدة عذراء تسكنني
فأينعت في يدي واحاتُ نسرين

واليوم أين اختفت آثار بسمتهم
من سالف الدهر في أمطار كانون

تبا لحزن تجلى في نزيف دمي
لو قلت شعرا رأيتُ الشعر يعصيني

تؤجج النارُ أفكاري فتعبث بي
فتوقد الجمر في روض الشرايين

واليـــــوم أصـــــلب أوجـــــاعي وأنكـــــرني
مـــــا كنـــــت أحســـــبني يومـــــا ســـــأرثيني

مـولانـا

الشاعر «عماد قطري»

أ. حسـن مـأمـون

أظنك
تنعم فى كوثرك الأنا
تنهل من نهر الحب أمانًا
منا من يترك
فى الروح جراحًا
والآخر..
والآخر يبقى بالقلب ريحانا
قد أعلن فى الدنيا زهدًا
تمنى أن..
يخرج منها إنسانًا
أباح الود بلا ثمن
وابتاع بقلب الناس مكانًا
قد كان «عماد»
صوفي البسمة
فى الخلوة سبط الروح

ومولانا..
يأخذنا دوما للبهجة
وجها لبهاء الروح

وصنوانًا
يحمل فى جعبته،
النور سلامًا
لو وزع..
فى أرجاء الأرض كفانا
يا سر العشق الأبدي،
وغربته
تغريبة شعر،
ونجيب بكانا.

المحاكمة
يحدث في غزة وأريحا الآن
ترانيم عشق
عماد قطري
أحبك
عماد علي قطري

مركز عماد قطرى للابداع والتنمية الثقافية
يوليو ٢٠١٥
29/07/2015

دعـــوة

سيتـــم مناقشـــة رسالـــة (الدكتوراه) المقدمـــة من الباحث

محمود عبد الرحيم عبد اللاه عبد الرحيم

تحت عنوان

الصورة الشعرية فى التغريبة السيناوية عند عماد على قطري

لجنـــة الإشـراف

أ.د /عبد الناصر محمد السعيد عمر
أستاذ الأدب العربى الحديث
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالمنصورة
مشرفا رئيسيا

أ.د/ على الغريب محمد الشناوى
أستاذ الأدب الأندلسى ورئيس قسم اللغة العربية السابق كلية الآداب - جامعة المنصورة
مشرفا مشاركا

لجنـــة المناقشة والحكم

أ.د /عبد الناصر محمد السعيد عمر
أستاذ الأدب العربى الحديث
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالمنصورة
مشرفا رئيسيا ورئيسا

أ.د/ على الغريب محمد الشناوى
أستاذ الأدب الأندلسى ورئيس قسم اللغة العربية السابق كلية الآداب - جامعة المنصورة
مشرفا وعضوا

أ.د /محمد حلمى السيد البادى
أستاذ الدراسات الأدبية المتفرغ ووكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث جامعة كفر الشيخ
مناقشا وعضوا

أ.د /أسامة محمد إبراهيم البجيري
أستاذ الأدب والنقد
كلية الآداب - جامعة طنطا
مناقشا وعضوا

وذلـك يـوم السبـت الموافـــق ٢٠٢٥/٩/١٣م

فـي تمـــام الساعـــة الحادية عشرة صباحاً بقاعـــة (٩٣) بالكلية

المختص	المراجع	مدير الإدارة	وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث	عميد الكلية
			أ.د/ مسعد سلامة مندور	أ.د/ محمود سليمان الجعيدي

وفي القلب قصة لا يعرفها سوانا
رحمك الله يا كل الأحبة وكل الرجال!